إنقراض

EXTINCTION

ست مسرحيات فى صميم المسألة

أحمد زكى عمارة

الطبعة الأولى

الكتاب : إنقراض

المؤلف : أحمد زكى عمارة

تصنيف الكتاب : مسرحيات

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس : ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ١٩٠٩٥ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي : 978 – 977 – 776 – 109 – 3

دار يسطرون

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم

المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت محطة المطبعة

شارع الملك فيصل - الجيزة

جمهورية مصر العربية

٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم

رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى من له القدرة على إسدال الستار

ست

مسرحيات من فصل واحد

-١-

على كوكب الأرض

من أحداث "**الكارثة الكبرى**" التى جرت على الساحل الغربى لأفريقيا، حيث كان يتم تجميع سكان هذه المناطق فى قلاع خصصت لهذا الغرض.. وكان التجار يجمعون فيها الإنسان الأسود، ويرسلونه إلى أوروبا عبر السفن. عبيدا يُسخرون فى خدمة الرجل الأبيض، وما زالت تلك القلاع شاهدا على تجارة الرقيق، ودليلا على استغلال الرجل الأبيض لأخيه الأسود.

صَيْدُ الأَبَنوس

المنظر:

(جزء من غابة.. الخلفية أشجار كثيفة متشابكة الأغصان.. تتخللها فجوات من الجانبين.. لا صوت إلا أصوات بعض الطيور، وشقشقة العصافير، تظهر فتاة سوداء البشرة.. فى العشرينيات تلبس ملابس بسيطة.. توحى بالفقر.. يبدو عليها الخوف والقلق.. تتأبط شابا أسود، قوى البنية.. فى ملابس خفيفة.. تتناسب مع أجواء المنطقة الإستوائية.. كلاهما حافى القدمين.. تتجول أعينهما، يفتشان بحثا عن مكان يتخفيان فيه، يتوقفان، ويشيرالشاب بيده نحو جزوع بعض الأشجار المتلاصقة.. ويذهب خلفها ليتأكد من صلاحية المكان.. ثم يعود وقد بدا عليه أنه اقتنع بإمكانية الإختباء فيه)

الشاب هذا مكان مناسب يا " لونا " نستريح ونحتمى فيه

الفتــاة هل تخفينا الأشجار عن عين الأشرار؟

الشاب يمكننا أن نبقى هنا إلى أن يحين الليل

لونا "أرو" إنى يائسة من النجاة!

أرو ولم اليأس.. إن لم يعجبك المكان.. تعالى! نستمر فى السير، نهرب فى ركن آخر فى الغابة.

لونا (**مداعبة**) والأسد الرابض فى سهل الموت؟

أرو (**يضحك**) نتسلق شجرة

لونا والفهد القابع.. لا تدركه العين!

ينتظر فرائس ضالة.. كى يحيا.. (**تمثل الإلتهام**) ينشب فى معدتها أنيابا شرسة.

أرو إذن لنبقى هنا.. أنروح بأرجلنا للموت؟!

فاتنتى! لا موت أهون من موت!

من قال بأن الغابة قد فرُغت؟.. ولم يبق فيها إلا جسدى أنا.. وأنت؟

لونا (**باستسلام**) إن نحن نجونا اليوم.. فعيون التجار تفتش فى سقف الغابة ليل نهار.

أرو (**يطمئنها**) هل هى لا تبحث إلا عنى وعنك!؟

لونا لابد وأن نخرج من تلك الغابة!

أرو الغابة قد هدأت وسنبقى حتى يدركنا الليل.. ومع الضوء.. أول ضوء سنصل إلى مأوى يحمينا من خطر الغابة.. ومن أيدى الصيادين الأشرار.

لونا (**فى ضيق**) لماذا نحن عبيد وهم أحرار؟

أرو جميع الغرباء.. السفاحين.. عبيد فى الأرض! ولكن تهزمنا آلات القتل بأيديهم..

لونا (**فى حزن**) وهم لا يدرون أنها تفتك بالقلوب قبل الأجساد.. والقلوب مفاتيح الحياة.

أرو (**يمسك بيدها ويقودها نحو جزع شجرة ممددة على الأرض**) تعالى نجلس هنا نستريح قليلا.. من يدرى؟! عند الشاطىء ترسو مراكبهم.. لعلها تغادر عند الليل. وننجو من أيديهم.

لونا إن ننجو تلك المرة.. من يدرى؟ هل لا يدركنا أحد فى المرات القادمة؟

أرو (**يجلس ويشير لها**) تعالى! فلنترك غدنا للأقدار.

لونا (**وهى تجلس على جزع الشجرة بجوار"أرو"**) أصحيح ما يتردد بأن الربان الأخرق مخمور منذ شهور.. يلقون إليه بجارية كل مساء! وتعود مع الصبح إلى قبو النسوة.. أو حتى قبو يجمع كل الرفقاء؟

أرو لا أحد من أصحاب اللون الأسود ينجو من القسوة!

لونا هذا الربان يُرضونه.! ويقولون بأنه فى الشهر الماضى.. تجرع لساعات من برميل للخمر.. وألقى بجارية فى عُرض البحر!؟ ضاقت سبل العيش..

أرو بل سبل الحرية. فى دنيا لا نعرف فيها من نحن!

لونا (**يبدو على وجهها الفزع**) لا يفزعنى سوى السوط.

أرو وأنا لا أتصور يا "لونا" أنى أحبس فى زنزانة!

لونا (**تنظر إليه مبتسمة**) لن يحدث هذا

أرو (**متسائلا فى استنكار**) هل بعد قطوف الشجر الدانية.. أتغذى من أكوام قمامة؟

هل بعد عبير زهور الغابة أملأ صدرى من رائحة القبو.. وفضلات السجناء؟!

هل بعد الشمس الساطعة المحرقة تتوه العين بظلمات

الكهف؟!

هل بعد حفيف الأوراق، وزقزقة الطير لا يبقى شيء يُسمع إلا صلصلة القيد؟!

وأنا مشدود للأرض.. وغدى موت!

لا أعرف ما معنى أن أصبح عبدا!

لونا (**وهى تمسك بذراعه**) حبيبى.. لا تبعث فىَّ الخوف.

هل يصبح مستقبلنا أن نحيا غرباء.. تطردنا الشمس.. ووحوش الغابة.. ويفرِّقنا هذا الإنسان القادم من عرض البحر.. نهيم.. وتنقلنا السفن إلى الساحات المجهولة..

أرو خوفى أن تدركنا أعينهم.. أن تمسكنا أيديهم ونصبح فى الأسر..

لونا هل حقا لا يمكن أن يخفينا شيء عن عين قوافل صيادى الإنسان! (**فى يأس**) ما ذنبى أنى فى لون الأبنوس؟!

لا يمكن أن تخفيه الأوراق الخضراء!

أرو بل هذا مصير الإنسان الأعزل؟ فبنادقهم.. تخطفنا فى ضوء الشمس!

لونا وظهور النسوة يلهبها السوط.. تتطاير منها الحرية.. تحت سياط الجلاد.

أرو فى القبو مئات ينتظرون السفر أو الموت!

لونا (**ناظرة إليه**) هل لا يكتمل العدد إلا برحيلى أنا وأنت؟

أرو مراكبهم جاهزة عند الشط.. وطول اليوم يجوبون الغابة.. يا أسفى مرشدهم.. من بين السادة أبناء الوطن المأجورين!

لونا تجار كلهمو.. لكن.. لن يصل إلينا أحد.. فالحب سيحمينا (**تنظر إليه فى حنان**)

أرو (**يحيطها بذراعه**) اقتربى منى.. هيا اقتربى.. ضمينى (**تلتصق به فى حنان فيضمها إليه، وينظر فى عينيها**) أعرفه أقوى من كل الأشياء.. ولكن.. هل أمكن للحب حماية من سبقونا؟ هل أمكن للحب حماية أطفال قُتلوا بلا سبب أو ذنب؟

لونا لارحمة عند الأوغاد ولا قلب!

أرو هل أمكن للحب حماية إبنة جيرانى الطفلة؟ كانت فى عمر الزهرة..من حضن الأم انتزعوها.. قتلوها حتى لا تزعج أو تقلق أحدا من بين البحارة.. إن هم فوق سفينتهم أخذوها. أبواها رضيا بالأسر..رضيا بالقهر.. رضيا بالسفر إلى أقصى بلاد فى الأرض.. كانا يصران..أن تبقى فى حضن الأم.. لكن لا رجاء ولا توسل أو دمع.. قُضى الأمر.. قتلوا الطفلة فى هذا العمر!

لونا ما أقسى صاحب هذا القلب..هذا الوحش الهمجي.. لن تمحو خطاياه سنين أو أيام.. مجنون هذا الإنسان!

أرو ما أقساهم فعلا.. تركوا أحزانا تملأ أرجاء القارة أسمع بالليل نداء.. يتردد أصداء.. تجار الإنسان غيلان يا "لونا".

لونا (**مستفسرة**) ماذا تعنى بالقارة؟

أرو أولا تعرفى قارتنا؟

لونا (**باستسلام**) لا أعرف إلا الخوف.. وبعض من سكان الغابة.

أرو أفريقيا يا "لونا" بلاد السود.لا يعنينا إلا أن نولد ثم نكبر.. وتمضى بنا الأيام.. الناس يرددون:

جاء ثم ذهب..

كان ثم رحل..

عاش ثم مات!

لا فرق بين بلاد وبلاد.

لونا نقتات على الخوف، لماذا؟ لماذا؟

أرو دعك من تلك الأفكار.

لونا نفسى تحدثنى بأنهم سيعثرون علينا.. خوفى أن نفترق.

أرو لن نفترق.

لونا لو أخذونا سنفترق.. وبعد فراقك لا طعم لعيش من بعدك.. لا طعم.! ستصير الأيام ظلاما. لن نفترق حبيبى.. وسيُعمى إلاهُك أعينهم.

أرو تتحدثين عن الفراق.. وأنا خوفى على الجسد.. (**يربت عليها فى حنان**) أن ينتهك! فكما أعلم.. أنهم ذوى قلوب قاسية.. وعقول فاسدة.. من أجل المال يتاجرون فى البشر.. ليستغلوا أجسادهم إما فى السخرة أو فى العهر!

لونا رغم كل ما تقول.. أخشى أن نفترق!

أرو ليتنا نبقى فى وطننا حتى لو نفترق!

لونا أتقول هذا.؟! وهل تطيق؟

أرو آه..! الأسر..السجن.. القهر.. التعذيب.. أخاف عليك..

لونا أنا أيضا أخاف عليك.. لا يضنينى أن أتعذب ما دمت بجوارك.. لكن لا يمكننى أن أتصور أنك وحدك، وأنا وحدى.

أرو لا تبتأسى.. سيمر اليوم.. وسنجد على الأرض مفرا.. و سيأتى الليل ليحجبنا عن عين الرجل الأبيض.. هذا القادم من أقصى الأرض.

لونا (**متمنية وهى تنظر لأعلى**) أتمنى.. أتمنى..

أرو (**ينظر إليها فى رجاء**) كلانا يتمنى.. ابتسمى يا "لونا".. ابتسمى

لونا (**تبتسم فى وداعة.. وترفع يديها نحو السماء وتدعو**) إلاهى.! نجنا من هذا الغم، وهذا الهم.. حبيبى "أرو" ألا يوجد بينهم من له قلب رحيم؟

أرو أصحاب القلوب الرحيمة لا يأتون هنا!

لونا (**مستفسرة فى استسلام**) لا رحمة عند الأوغاد ولا قلب.. أهو لون البشرة ما يجعلهم يفعلون ذلك؟ هل اللون الأبيض يخفى تحته تلك القسوة؟ لماذا هم ليسوا مثلنا؟

أرو قولى لماذا لا نكون نحن مثلهم؟ القوىُّ يتسلط على الضعيف.. إنه قانون الحياة.. إنهم تفوقوا علينا بالعلم والإختراعات.. ألا ترين بنادقهم، وسفنهم التى تملأ البحر.. ونحن لا نعرف سوى القارب!

لونا لكننا ذوى قلوب رحيمة.

أرو القلوب الرحيمة لا تمنع أشرار القوم أن يمارسوا القهر.. لا تجهدى نفسك بهذا التفكير.

لونا إذن فنحن لا حول لنا ولا قوة؟

أرو هذا صحيح إلى أن نسلك طريق العلم!

لونا (**فى يأس**) إذن ما قيمة أن نحيا؟

أرو (**يمسك يدها ويبتسم**) جَدى كان يُعلمنى أشياء كثيرة.. وأحيانا يُحدثنى بلا سبب.. كنت أظنه يهذى.. أذكر أنه ذات مرة قال: الناس يلتقون.. يفترقون...والدروب التى نسلكها.. إجتازها قبلنا آخرون.. واختفت معالمهم!

يا ولدى لابد للجميع أن يحيوا.. فقيمة الحياة هى أن نحياها.

لونا تعنى...

أرو ... نحتمل!

لونا أنت لا تعرف ما بداخلى..

أرو بل أعرف.. أحبك يا "لونا".

لونا وأنا أستمد وجودى منك.

أرو "لونا" حبيبتى من علمك هذا الكلام الحلو؟

لونا كنت أسمع حديث الليل بين أبى وأمى.. كانا يظنان أنى نائمة.. (**تسمع بعض الأصوات.. فتهمس له**) إسمع..! (**ينصتان بينما تتلاشى الأصوات**) "أرو" هل سنظل هكذا.. فى ترقب وخوف؟

أرو إلى أن يقترب الليل.. ويعود الصيادون إلى القلعة.. بعدها سوف نسير مسافات طويلة.. حتى نصل عند جدتى..

لونا ألا يوجد عند جدتك صيادين؟

أرو لقد أخذوا كل الشباب هناك.. حتى المرأة.. وهناك يمكننا أن نقيم بعيدا عن أعين هؤلاء.. بعيدا عن الساحل.

لونا كلما اقترب الليل يتبدد خوفى.. لم يبق لى إلا أنت والليل.. كلاكما أتخفى فيه.! (**تتمسك به أكثر**)

أرو وأنت أيضا ملجأى (**يربت عليها فى حنان**).

لونا نحن لسنا كمخلوقات الغابة.. إنهم أحرار. أما نحن فلا نعرف لنا مصيرا

أرو ها هو الضوء قد أوشك على الرحيل.. عندما نصل عند جدتى.. سنصبح أحرارا، ونمهد لأنفسنا مصيرا آخر.

لونا أتمنى أن يحدث.. لكن ماذا يا"أرو" لو أخذونا..

أرو (**فى لهجة تسليم بالواقع**) بعد التعذيب سنعيش بينهم.. وسيتعودون علينا.. وسنصبح مثلهم!

لونا هذا حلم مزعج..

أرو ولما لا؟ ألسنا بشرا؟! إنه اللون.. فقط اللون.

لونا (**فى تحدى يائس**) فى يوم ما.. سيعشق الرجل الأبيض امرأة سوداء.. وتنجب المرأة مخلوقا أبيض

أرو ولماذا لا يكون أسودا؟

لونا (**تنظر إليه فى دهاء**) أثناء العشق يتلاشى اللون!

أرو مادام الليل قد أوشك على المجىء.. فسوف ننطلق خارج الغابة .. أحرارا يا "لونا".. أوه.!هل سيأتى يوم نتذكر فيه أننا كنا كائنات هاربة.؟ قطعا.. لو خرجنا اليوم إلى خارج الغابة. امنحينى يدك..

لونا ها هى يدى. (**تمد يدها فيمسكها**)

أرو هيا.. هيا نطير معا.. نحلم.. نسبح فى هواء الحب.. على نسيم الحرية (**يقفان ويرقصان فى حالة من البهجة**).

أرو لم أعد ضالا بين أشجار الغابة.. لم يعد فى قلبى ظل يحجب نور الفرحة.. فأنت فى داخلى الضوء.. أبتسمُ لأنك تبتسمين.. وعندما يرحل الصيادون خارج الغابة..أحلق معك فوق القمم العالية.. حيث حبات الضوء..

لونا وتصبح عينى محملة بالأمانى.. وتسمع أذنى شجى الأغانى ونسبح فى جنة العاشقين

أرو أحبك زهرة فل.. أو ياسمين !

لونا لكننى سوداء.. ألا ترى؟

أرو أراك بقلبى زهرة فل! (**تضحك**) عبيرها نسمة للحياة..

لونا إبق يا"أرو" كما أنت لا تقتل روحك.. حتى لا يقتلنى الخوف.

أرو بقولِك هذا تحيين الأمل بأننا سنبقى أحرارا.. تخطئنا عين الصيادين قساة القلب.. أتمنى يا "لونا" أن يمضى هذا اليوم فالحفل مقام فى القلب (**يستمران فى الرقص.. ثم يتوقفان**)

أرو لكن... الآن...

لونا ماذا بالله عليك؟!

أرو هل ننجو؟!

(ما أن يلقى"أرو" بهذا السؤال.. حتى يُسمع صوت جلبة بين الأشجار.. يختبئان خلف الأشجار..فيسمعان صوت أقدام آتية من جهة اليسار.. ينصتان ويكفان عن الحديث.. يعبر أمامهما شاب أسود.. نصف عار.. وهو يعدو مهرولا.. يحاول الهرب.. وقبل أن ينطقا بكلمة يظهر رجلان فى ملابس شبه عسكرية.. على رأسهما قبعتان من

قبعات الصيادين.. يجيلان النظر بحثا عن الشاب الذى كانا يطاردانه.. يتجاوزان لونا ورفيقها بخطوات.. ويتوقفان لأخذ الأنفاس)

صائد١ (**يائسا من الإمساك بالشاب الهارب**) فر الوغد.

صائد٢ (**متوعدا فى غيظ.. وهو ينظر فى الإتجاه الذى سلكه الشاب الهارب**) لن تذهب مهما حاولت.. لن تهرب.. إن لم ندركك اليوم.. فستسقط فى الغد.

صائد١ أما نحن فلن نذهب أبعد من ذلك.. فلنجلس نلتقط الأنفاس.

(**يقتربان من جزع الشجرة الساقط على الأرض**)

صائد٢ الغابة تتشابك فيها الأشجار..ونقترب من الليل يبدو أن لا أحد قد فر هناك سوى هذا العبد.

صائد١ بالأمس سماسرة القوم السود جاؤوا إلى القبو بمن ألقوا القبض عليهم.

صائد٢ لم يبق إلا سكان الغابة (**يُسمع أصوات القردة**) هل تسمع؟

(**ينصت**)

صائد١ لا أسمع إلا صوت القردة.. (**"لونا" و"أرو" يلتصقان فى خوف**)

صائد٢ هل حقا ستسافر السفينة الراسية غدا؟

صائد١ السؤال يكون.. هل اكتمل العدد؟! ما زال العبيد فى القبو يعرضون على التجار.. الثمن كبير هذه المرة.. شاهدتُ العرض.. كان الصيد ثمينا.. فتيان توحى مناظرهم بالقوة..

صائد٢ لكن أكثرهم لا حول ولا قوة.. هزال.. أو مرض..أو.....

صائد١ (**مقاطعا**) ... لكل ثمن يعرفه التاجر.. والأغلى ثمنا.. هو الرجل القادر.. و النسوة ممن كن تربين على الطاعة... إجلس كيما نرتاح ولو ساعة.. (**يجلسان على جزع الشجرة الممدة على الأرض حيث كان يجلس أرو ولونا.. موليان ظهريهما ل"لونا" ورفيقها، ويضعان مؤخرات بنادقهم على الأرض**)

صائد١ (**فى ضيق**) الوقت يمر.. ولم نلق عبدا واحد.. أو امرأة هاربة.. أو حتى طفلا أو طفلة.. إلا هذا الوغد الهارب.

صائد٢ الغابة تبدو خالية إلا من قرد.. أو قردة.. (**يضحك**) سنعود وأيدينا فارغة!

صائد١ (**باستسلام**) وستبقى سفينة "ماركو" منتظرة.

صائد٢ ترسو من زمن أحسبه تعدى الشهر الرابع..

صائد١ وستبقى حتى يمتلىء القبو.

صائد٢ (**ضاحكا**) أو تنضب تلك الأرض من السود! (**يهم بالنهوض**) هيا بنا قبل أن يدركنا الليل، ونصبح صيدا لأفعى أو فهد. (**فجأة تسعل "لونا" وتبدو وهى تحاول أن تكتم سعالها.. يسمع الصيادان السعال.. وعلى الفور يستديران وتتجه أنظارهما نحو الصوت.. فينهضان ويسرعان نحو "لونا" ورفيقها اللذان انتابهما الذعر واليأس..فتتشبث "لونا" ب"أرو" وتبكى.. ويزدادا إلتصاقا.. بينما الصيادان ينهالا عليهما ضربا بمؤخرات البنادق.. ويخلصها أحدهما من أحضان"أرو" ويدفعها أمامه..وهو يقول:**)

صائد٢ هيا.. مهما حاولتى.. لا يمكن أن تختبئى.. هيا.

صائد١ عليكما اللعنة.. الغابة ملئى بالأوغاد..كاد الصيد يفلت منا

صائد٢ (**موجها الكلام لـ "أرو"**) وأنت لأنك هارب! فستُجلد أو تُحبس.. حتى تلفظ أنفاسك! إن لم ينقذك التاجر.. ويدفع ثمنا لبقاءك. (**يدفعه بمؤخر بندقيته ومعه "لونا" بينما يتابعه الآخر مصوبا بندقيته إلى ظهرهما**)

صائد١ (**يوجه الكلمات ل "لونا"**) وأنت.. ستقضين الليلة فى حضن الربان.. من يدرى؟! وقد يُبقيك على ظهر سفينته أياما.. لأنك نادرة! وهو لا يفيق.

(يضحك ساخرا.. وهم يغادرون.. بينما يظلم المسرح)

ستار

-٢-

من المحيط إلى الخليج

حيث يُدفع بالإنسان ليواجه أخيه

آلام عنتر

المنظر:

(فى الواجهة دكان لبيع الأعلام والرايات بألوان مختلفة.. وهى ليست لدول بعينها.. البعض منها معلق.. والبعض مًعد للبيع.. فى الجانب الأيسر واجهات منازل للطبقة المتوسطة يتوسطها مدخل لأحد الشوارع .. فى الجانب الأيمن ـ تقل الإضاءة ـ حيث تتضح واجهة مبنى ضخم يطل على شارع كبير.على الجدران صور لأحد الشخصيات البارزة، تفتح الستار على رجل فى العقد الثالث من عمره.. داخل الدكان.. يرتب فى بضاعته بينما تسمع أصوات لمجموعة تقترب من الناحية اليسرى.)

المجموعة يا أهل البلدة.. هل منكم أحد لا يعرف مجد الأجداد؟

(تظهر مجموعة من الشبان والفتيات والرجال.. فى أزياء مختلفة.. يمرون أمام الدكان ويتجهون إلى الجانب الأيمن، يهتفون:)

المجموعة هل منكم من ينكر أن التاريخ توقف فى دولتنا.. عند العتبات، وعند الأبواب.. اليوم الوطن يناديكم.. اليوم الوطن يناديكم. **(يتابعهم الرجل الواقف بالدكان دون انفعال.. فى إثر القادمين يظهر عجوز على كرسى متحرك.. يتوقف أمام الدكان.. فيبادره الرجل مداعبا:)**

الرجل هل ترغب فى عَلمٍ؟

العجوز سبقونى فى موكبهم! لما لا تغلق دكانك يا عنتر.. كى تذهب معهم؟

عنتر لم يمض على قدومى أيام.. كانت معركة كبرى.

(تظهر مجموعة أخرى من الشبان والفتيات والرجال.. يمرون أمام الدكان ويتجهون إلى الجانب الأيمن وهم يهتفون:)

المجموعة أين شباب الحى.. أين الأبطال؟ من يحمل رايات الحرية؟ من يحمى الأوطان؟

عنتر (**بتهكم**) ما زالت تتردد تلك الدعوات؟!

العجوز (**معاتبا**) أتعجّبُ.. طول اليوم تبيع الرايات.. وتتاجر فى الأعلام.. ولا تذهب معهم!

عنتر (**يعبث فى أحد الأعلام دون اكتراث لما يقوله العجوز**) المرة تلو المرة.. من يذهب فى تلك المرة؟

(**تظهرسيدة فى العقد الرابع قادمة من الجانب الأيمن، وتوجه حديثها للعجوز ولعنتر**)

المرأة ستة أيام وأنا واقفة عند البوابة!

عنتر أية بوابة؟

المرأة الكبرى.. (**تشير بيدها نحو الجهة التى جاءت منها**).. فى هذا البنيان

عنتر ما أكثرها يا خالة؟

المرأة قصر الأوهام! من لا يعرف قصر الأوهام!؟ ليل نهار يدعون القوم إلى الميدان.. حجتهم صون الأوطان..

العجوز وهل فى ذلك ما يُقلق؟! (**تنظر إليه بحدة.. ولا تجيبه**)

عنتر وما سبب وجودك عند القصر؟

المـرأة ولدى يرقد منذ ثلاثة أعوام.. ينزف من جرح فى الصدر.

(**تحـذرعنتر**) لا تـذهب.. لا تـذهب معهـم.. الأبـواب الموصدة.. الأقفال الحديدية.. دوائـر الإنـذار الكهربائيـة.. ستمنعك .. لا تذهب.

عنتر (**بتهكم**) يقولون بأن الساعة قد حانت! وأن المجـد علـى العتبات

المرأة لا تـذهب! فالحـارس القـوى البنيـة.. المفتـول السـاعد.. الكثيف الشارب.. سيمنعك!

عنتر منذ الأمس كعادتهم .. تتعالى الأصوات ينادون علينا..

المـرأة ستة أيام وأنا أرصـد تلـك الأبنيـة الخرسـاء.. والأرضـيات الصماء..

عنتر (**موافقا**) ولا أحد يجيب!؟

المـرأة الأحجار.. والـدعامات الحجريـة.. والأعمـدة الرخاميـة.. والفراغات الكئيبة.

عنتر هل كنت هناك تلبين نداء الثوار؟

المـرأة بل كنـت أحـاول أن يَسـمع أحـد شـكواى.. لكـن سـكان القصر. لا أحد منهم يسـمعنى.. لا أحـد مـنهم يفهـم.. أو يسمح بدخول البسطاء.. هل تعرف؟

عنتر (**فى استسلام**) أعرف ماذا؟ لا أعرف إلا راياتى وأعلامى.

المرأة (**مستغربة**) لا يوجد أثر للون الأبيض! ستة أيام .. وأنا واقفة فى الظلمة.. وسكان القصر تبدو من حولهمُ الثريات والمصابيح.. الكريستال والبللور. (**تتَّجه ببصرها نحو الجانب الأيمن.. وتشير**) كنت أراها تبدو من نافذة فى القصر.. لحظة كنت هناك.

العجوز هل يمكن أن أفعل شيئا من أجلك؟

المرأة لا تملك أن تفعل.. (**توجه الحديث لعنتر محذرة**) لا تذهب! (**تتركهما وتتجه للجانب الأيسر**)

عنتر سيدتى لا تنزعجى..

العجوز ما خطبك.. انتظرى.. (**تغادر المكان وهى تتمتم**)

المرأة لا تنزعجى.. انتظرى.. احترقى.... (**يتابعها العجوز حتى تبتعد**)

العجوز (**لعنتر**) لا تسمع لكلام النسوة.

عنتر (**كمن يحدث نفسه**) الدعوة أن تذهب وتقاتل.. والمرأة قالت لا تذهب.. (**يستدير داخل الدكان.. ويهمس**).. وأبونا الشيخ يقول لا تنصت لكلام النسوة!

العجوز بما تهذى يا عنتر..؟ اليوم الوطن يناديكم.

عنتر أسمعت كلام المرأة؟..

العجوز لا أسمع لكلام النسوة. حدثنى لماذا لا تغضب أو تهتم؟

عنتر بل إنى أكثر من يغضب، ومن يهتم.. منذ شهور فاتت.. سمعت كبار القوم ينادون : هُبوا لنداء الأوطان.. (**فى حماس**) فعدوت.. وحملت سلاحى.. وغضبت.. وحاربت..

العجوز أدّيت الواجب.

عنتر (**بدون حماس**) وجُرحت.. وتساقط حولى رفاقى.. أذكرهم يا أسفى.. رفاقى القتلى.. كانوا محمود، ومحمد.. (**سكتة.. وفى حسرة**) هل تعرف يا جدى ؟ هل تعرف؟ أعدائى أيضا كانوا محمود، ومحمد!

العجوز ياولدى كنا نحارب.. أقواما خرجوا....

عنتر (**مقاطعا**)...عن ماذا خرجوا؟ عن طاعة حاكمهم؟ أم عن حمل الأفكار العفنة؟

العجوز بل كانت حرب من أجل التحرير.

عنتر (**بتهكم**) تحرير؟! وهل كان على أرض الوطن غزاة.. أو كفرة؟

العجوز هل لا تثق بقائدنا؟

عنتر يا جدى أنا من كنت أحارب.. المرة تلو المرة. **(من اليمين يظهر رجل فى العقد الخامس يلبس حلـة أنيقـة.. غـير متناسقة الألوان، ذو شعر كثيف على الرأس)**

العجوز من هذا القادم من ناحية القصر؟

عنتر أعرفه.. يعمل فى القصر.. يكتب إعلانا أو لائحة.. أحيانا يلقى الشعر.. أحيانا يأخذ منى عَلَما.. لايدفعُ ثمنا!

(يدورالعجوز بكرسيه ويتجه نحو الجانب الأيسر)

العجوز دعنى أذهب.. سأعود إليك..

(يصل الكاتب ويتوقف مبتسما أمام الدكان)

الكاتب أهلا يا عنتر.. سوف تبيع اليوم مئات الأعلام.. هو حظك يا عنتر!

عنتر **(مرحبا)** أهلا يا كاتم كل الأسرار.. قبل قدومك بـدقائق.. جاءت سيدة.. والحزن يمزقها.. تشكو من سكان القصر.

الكاتب إلى من تشكو؟ لا ينزل أحد منهم للشـارع.. حتـى يسـتمع لتلك الأقوال؟!

عنتر ماذا لو أن أميرا أو مسئولا استمع إليها.. فالقصر ملىء بالسكان؟! أم أنه لا يوجد فى القصر سوى شخص واحد.. فرد واحد.. لا يوجد فى القصر سوى السلطان؟!

الكاتب أنت تبالغ.. لا يوجد فى بلدتنا سلطان!

عنتر فى القصر.. ألا يوجد بين السكان السلطان؟

الكاتب (**فى ارتياح**) سكان القصر امرأة.. فرحت.. زادت فرحتها حتى غطت كل حوائط غرفتها.. نراها وقد فتحت بابا فى حجرتها.. فازدانت أرجاء القصر.

عنتر هذا ما صرت تراه؟

تتعامل معهم.. لكن لا تعرف سكان القصر.. أنا أعرفهم! تراهم يبتسمون ولكن.. خلف البسمة خزان دموع.. لا يملك صاحبه أن يفتح ثقبا فيه!

الكاتب (**باستغراب**) وكأنك تعرفهم!

عنتر (**باستياء**) سكان القصر دُمىً.. من لحم الإنسان المتبقى من عصر الظلمات.. باردة أعينهم.. أو هم ماتوا من أزمنة غابرة.. لا يعرف أحد منهم ما هم فيه.. آلات تتحرك فى قصر الوهم!

الكاتب أسكت!

عنتر (**يتنهد**) لكن حدثنى عمن جاءوا بالأمس.. ودخلوا من باب القصر الخلفى..هل كانوا دجالين أم هم ساسة؟ خوفى من إشعال الحرب!

الكاتب الزوار.. دوما يأتون.. عشرون.. ثلاثون.. أحيانا خمسون. دجالون؟ لا أعرف! أم ساسة! فى أيديهم أحيانا أوراق.. أحيانا أسلحة.. أحيانا أدوات للسحرْ!

وحقائبُ، وسلاسلُ أحيانا.. آنية فارغة، آنية مملوءة.. همساتٌ.. أبواب مغلقة.. وخرائطْ.. ودخانٌ أحيانا.. صور لا يُفهم معناها..

عنتر (**بتهكم**) تتفرج.. لا تعبأ إلا بالكلمة أو بالقول! يأتون ومعهم أدوات للقتل.. تحصد فى الأجساد. أقدام تصطك بأرضيات رنانة.. وهْمٌ.. وغموض أحيانا.. أليس كذلك؟

الكاتب أسكت!

عنتر (**يكمل فى حدة**) سكان القصر بعيدين عن الناس البسطاء.. لماذا؟ يا كاتم أسرار العظماء؟

الكاتب أسكت..! لا تسأل.. أنا لست سوى أحد الكتبة!

عنتر لكنك تُلقى أو تطرح أفكارا.. تُقنع من يسمعها.

الكاتب (**يضحك**) دورى.. نفذ.. أُكتب.. ما أفعله لا يعدو صياغة.. أوَ تدرى ما معنى صياغة؟!

عنتر (**يتناول بعض الأعلام بين يديه**) أنظر تلك الأعلام.. افحصها بعيون الفنان (**يعرضها علي الكاتب لكنه يقلبها ويتركها**) تتفرج.. ولا يعجبك علم واحد؟!

الكاتب فى بيتى كل الرايات.. وكل الأعلام!

(**يغادرالكاتب المكان.. بينما يعود العجوز ويلوح للكاتب بالتحية.. ويتوقف أمام الدكان**)

العجوز أكمل يا عنتر ما كنتَ بدأت.

عنتر (**يأخذ نفسا عميقا**) آه.. يا جدى.. كنت أحارب فى وطن عربى.. النصر لمن؟ أنستنى جراحى أنى فى حق الجيران تجاوزت، بل قل إنى أجرمت! الساحة كانت أرض الجيران.. الساحة كانت وطنا من أوطانى.. وامتلأت كل الأحياء بصورة من يزرع فى الوهم..

العجوز لا تحزن ..لا تهتم..

عنتر أأنت القائل هذا ؟!

يـا عجبى..أتحـرك فـوق الأرض العربيـة.. أبحـث عـن رزقى.. وأحارب قومى؟

العجوز جهاد يا ولدى كى لا يطغى موتـور أو جاهـل.. مغـرور أو ظالم.

عنتر أو بطل.. يتصور أنه وحده هوالعارف والعاقـل.! السـاحة يا جدى كانت أرض الجيران..أنظـر.. أنظـر! (**يشـير إلى الصـور المعلقـة علـى الحـوائط**) امـتلأت كـل الأحيـاء.. الطرقات.. بصورة هذا الإنسان.. العارف والعاقل!

العجوز هذا هو القائد.. وعلينا أن نسمع ونطيع.. مَن غيرُه يعـرف حجم الخطر الداهم؟!

عنتر (**يكمل**) لم تمض أيام حتى.. صاروا ينـادون علينـا.. كـى أذهب ورفاقى إلى معركة أخرى!

العجوز ولما الإحجام أو التأخير؟

عنتر من يدرى هل يُكتب لى عمرا آخر!

آخر مرة.. لا تعجب لو تعرف ما حدث بذاك اليوم!

العجوز إحك.....

عنتر ألقيت بنفسى فى الشارع ناديت ولم يسمعنى أحد.. هل كان بساحتنا رجل يدعى ملكُ الأخيار ؟

ضحكوا علىّ وقالوا.. لا تعرف قائدنا.. ملهمنا.. باعثنا.. فارسنا المغوار؟! (**باستسلام**) فصمتٌ.! وابتلعت أحشائى أسئلتى!وجاءتنى أغنية فى المذياع مطلعها الأوحد والقهار أحضرت الصحف اليومية.. فى أول واحدة.. امتلأت صفحتها الأولى بالصور المزعومة.. بالكلمات المكتوبة بحروف رنانة! لم أصبر وتناولت الأخرى، فى الركن الأيمن والأيسر.. فى أعلى.. فى أسفل.. صورة من يزرع فى الوهم.

العجوز قائدنا.. لا تنكر يا عنتر.

عنتر (**دون اهتمام بما قاله العجوز**) ألقيت الصحف اليومية.. وخرجت إلى الشارع أعدو.. لم تلمح عينى جداراً أو ميدانا إلا ويطالعنى قائدنا المغوار؟! صار يطاردنى، وبأقصى ما أملك من سرعة.. عدت إلى بيتى.. لا أعرف ماذا تسرب فى الوجدان؟!

العجوز وماذا تسرب فى الوجدان سوى الإنكار؟

عنتر يا جدى! عدت إلى بيتى.. فوجدت الزوجة والأبناء.. فى شوق مقداره أعوام.. لم أذهب أو أتجول فى أى مكان.. لم أبرح شارعنا.. كان الخوف يعشش فى الأذهان!

العجوز (**مبتسما**) يخافون عليك؟

عنتر (**فى استنكار**) من يذهب للميدان؟ هل يذهب من كان يحارب بالأمس؟ أنا؟!

لكن كيف؟ وشبح الخوف تمكن من نفسى.. ليس من الموت..

العجوز من ماذا إذن يا شهم؟

عنتر ولدى شبّ.. (**يشير بيده مقدرا طول ولده**) ويوشك أن يصبح فى عمر المدفوعين إلى الميدان..ولدى يوشك أن يصبح جنديا مثلى.. من يدرى؟

قد يصبح جزءا فى آلات القتل؟!

أو جسدا مقهورا فى جيش الطاغية!

العجوز شرف أن يحمل من بعدك راية أمجادك..

عنتر فى دكانى كل الرايات! لن تسكت عنى إلا بعد سماعك آخر جولاتى فى الحرب!

العجوز تحيرنى يا عنتر!

عنتر طالت أيام الغربة وهجعت إلى بيتى.. وراحت روحى تستنشق نسمة حرية.. وقالت نفسى: يا عنتر ستنام وترتاح.. (**خفوت فى الإضاءة ثم توهج**) ما إن فتح الصبح عيونه.. حتى رن بسمعى جرس الهاتف:

(يُسمع رنين جرس الهاتف فى الداخل)

أصوات (**يسمع صوت قوى له صدى من الخارج**) يا عنتر! إحضَر حالاً.! واحضِر أدوات بطولتك..

العجوز طبعا لبّيت.

عنتر لبّيت.. وهل أملك إلا ذلك؟!

العجوز وماذا وجدت؟

عنتر لن أنسى كلمات بُعثت فى قلبى.. نُقشت فيه!

فلبست لباس الحرب، وذهبت.. ووجدت رفاقا قد سبقونى.. والراية فوق رؤوس رفاقى.. راية من يزرع فى الوهم! ألقوا على سمعى كلمات لم أفهم معناها.. أو قل إنى تعودت عليها!

العجوز ماذا قالوا؟ لابد وأن الفرحة كانت تبدو فى أعينهم؟

عنتر قالوا: مناورة.. تدريب.. أبشر الفتح قريب.. يا بطل الأبطال!

العجوز (**فرحا**) صدقوا يا ولدى.. الفتح قريب.. يكفى هذا.. لابد وأنك قلت لنفسك: هيا جهز أدواتك ولبى نداء الأوطان.. والحق بالمحظوظين..

أصوات (**من الخارج بصوت له صدى**) لا يمكن أن يُصلح أحدٌ أخطاء العرب سوى مُلهمنا؟!

عنتر (**يضع يده حول أذنه ويدعو العجوز للإنصات**) إسمع..

أصوات ولا أحد يخلص كل خطاة البشر سواه.!

عنتر هذا ما كان يذاع علينا.. ليل نهار؟!

أصوات هو الحق

عنتر (**صدى**) هذا كان لفيلقنا الدستور!

أصوات هو الحق

عنتر (**صدى**) هذا كان النقش المحفور على حائط خيمتنا بخيوط الوهم..

أصوات هذا ما كنت تراه!

عنتر (**صدى**) بل ما كان يعشش فى قلب خنـادق عسـكرنا.. أو فـى الجيـب الأعلـى مـن سـترتنا..أو فـى خـزان ميـاه معسكرنا!ولكن أين الفتح.؟!

الخجل يعاودنى.. والذنب يطاردنى.. نادى رفاقى الأشرار علىّ.. وقالوا:

ــ المجد القادم يجعلنا أبطالا، أحراراً، قوميين.. فى تلك المـرة سـقط رفيقـى إحسـان.. ورفيقـى عـدنان.. (**بتـأثر**) أعدائى أيضـا كـانوا: إحسـان.. وعـدنان.. يـا خجلـى.! صـيرنى القائـد سـفاحاً.. أقتـلُ جيرانـى.. إخـوانى فـى الإيمـان.! فـى وطـن آخـر مـن أوطـانى.. تلـك الأرض العربية.! هل حقا أنى بطل من بين الأبطال؟!

أصوات لا يوجد فى بلدتنا من يمكن أن يصـبح بطـلاً.. إلا قائـدنا المغوار.. لا يوجد فى الوطن صلاحيات.. أو همم.. أو حتى أجسـام تصـلح للألقـاب، وللأسمـاء الرنانـة، إلا قائـدنا المغوار؟!

عنتر (**فى استكانه**) قطط.. فئـران.. صـرنا.. النصـر.. المجـد.. الأعمال الكبرى لا تحدث فى وطنى.. ياللعار!

الفتح العربى الأكذوبة.. التحرير.. القوميّة.. قصص الأحلام الوردية..البطل الجاثم فوق جماجم أقرانى.. صدقنى يا وطنى أكذوبة.!

(تظهر المرأة ومعها الكاتب.. و يتوقفان أمام الدكان)

المرأة ناولنى علما من فضلك (**يناولها علما.. فتعطيه ثمنه**)

العجوز لا وقت يُضيّع يا عنتر.. وأنا أيضا ناولنى علما.. (**يناوله علما.. ويعطيه ثمنه**)

عنتر (**هامسا لنفسه، قاصدا العجوز**) يقضى هذا العمر.. ولا يتعلم!.. لا يفهم.. لا يفهم!

العجوز بماذا تهذى يا عنتر؟

عنتر لا شىء سوى أنى لا أفهم!

الكاتب وأنا أيضا إمنحنى علما يا عنتر.. (**يعطيه علما**) أنا أول من يذهب للقوم.. الكلمة عندى.. والجوهر!.. الواجب يقضى أن أذهب.. أخطبُ فى الناس.. أجلو عن أعينهم شبح الخوف.

عنتر أم تضع على أعينهم ما يحجب نور الحق؟! (**يناوله علما**) خذ واذهب.

الكاتب الساحة مزدحمة. (**تعبر المجموعة وهم يهتفون**)

المجموعة اليوم اليوم اليوم.. لا راحة بعد اليوم (**ينضم إليهم الكاتب والعجوز والمرأة..**)

عنتر (**يتحدث لنفسه**) نفس الكلمات ونفس الصورة.. الساعة قد حانت..أين الأبطال الشرفاء..؟ أين شباب الحى؟ من يحمل رايات القومية؟

من يحمى الأوطان؟

من منا يزود عن الناس؟ من يقف يصد العدوان؟

طوال الأيام يمرون علىّ.. تتعالى الأصوات.. وتثار الدعوات.. دعوات للحرب.. وأخرى للعيش!

أصوات (**من الخارج**) أترك دكانك واذهب ياعنتر.

عنتر (**يستدير داخل الدكان**) الصور المحفورة فى ذاكرتى.. أنَّا مدفوعون..ومخدوعون.. وقتلة.!

نلبس أقنعة.. نتكوم فيها.. أسمال الفكر.. نعال التتر.. عقول الهمج! (**بصوت عال**)

عنتر لا..! بل سلبونا كل الأشياء المودعة بعقل الإنسان، وقلب الإنسان.. وكل الأشياء المخلوقة فينا.. لم يبقوا فينا إلا العار أصبحنا نمشى فى فعلتنا نخفى زلتنا.. أو خيبتنا.. ويقولون عنا أبطال.. **(يردد ساخرا وهو يؤتى بحركات فى الهواء)** لا وقت يُضيّع يا عنتر..هاها.. لا تذهب معهم.. هاها..لا تسمع لكلام النسوة..هاها **(مستسلما)** لما لا تغلق دكانك يا عنتر؟!هاها.. إغلق هذا الدكان!

إغلق هذا الدكان!

(يندفع ويقوم بإغلاق الدكان.. ويكتب على الباب بخط كبير "مغلق للإصلاح".. ثم يجلس فى هدوء على الأرض أمام باب دكانه، و يتكوم على نفسه بينما يظلم المسرح رويدا رويدا..)

ستار

-٣-

فى ربوع المحروسة

هذا ما وجدنا عليه آباءنا

الطواف الأخير

تقع هذه الأحداث فى الثلاثينيات من القرن الواحد والعشرين على جانب إحدى الطرق فى ريف مصر.

يضاء المكان فنرى فى جهة اليسار واجهة ضريح شوهت جدرانه، تظلله بعض الأشجار، وبجواره أريكة خشبية متآكلة تتوسط المكان، عليها حصير من القش، فى اليمين طريق ممتد للداخل، نمت على جانبيه بعض الأعشاب . نسمع موسيقى تصويرية شرقية، وإيقاعات بسيطة، وتكتمل الإضاءة فتبدو الظلال على باب الضريح، حيث يقف رجل فى ثياب بيضاء وعلى رأسه عمامة خضراء، ذو لحية طويلة بيضاء، يدق بيده على باب الضريح، يفتح الباب ويظهر شيخ على وجهه سمات الوقار فى هيئة تشبه هيئة الطارق، وفى لباس يدل على القِدَم، و قد التفت

حول عنقه عدد من المسابح تدلت على صدره، ما أن يرى الزائر حتى ترتسم على وجهه الدهشة

ويقول مرحبا:ـ الشيخ على!؟..على الطيار؟ يا أهلا يا أهلا.. يا أهلا وسهلا

(يتبادلان النظرات، ويتعانقان فى ود، ويصحب الضيف ويجلسان على الأريكة)

سعى جميل ومشكور، وزيارة من حَبْر ذكره فى كل مكان، وصيته تجاوز البلدان.. يا من صار ذكره، وكراماته، وتجلياته على كل لسان. (**ناظرا إليه فى ترحاب**) الشيخ على فى حضرتى! يا لها من مفاجأة عظيمة.

على الطيار وهل كان يغيب عنى ألا آتيك واللحظة تستوجب ذلك. وأنا من يعرف قدرك (**ناظرا فى أسى مربتا على رجل مضيفه**) كيف حالك يا شيخ مسعود؟

مسعود كما ترى.. أقبع فى سبات!

على الطيار ساءت أحوالنا

مسعود حمدا لله على كل شيء

على الطيار لكن الناس يا أخى.....

مسعود (**مكملا**) .... تتزايد أعدادهم.. يمرون بجانبى مسرعين كالبرق (**يسمع صوت نفير إحدى السيارات تمرق مسرعة**) هل سمعت؟

على الطيار أما أنا فهم يتكاثرون من حولى.. تكاد لا تسعهم الأرض!

مسعود (**ضاحكا**) إذا فالمولد حولك يكون عامرا؟!

على الطيار هذا لو أقاموا لى مولدا!

مسعود إذا فالحال عندك كالحال عندى.. شحَّت النذور، وقلت الزيارات، وندرت الإحتفالات (**يسمع صوت عربة من التى تجرها الدواب تمر مسرعة على الطريق.. فيعلق فى استسلام**) هكذا يمضون!

على الطيار ترى هل قلَّ أهل الخير؟

مسعود رغم أن عدد الناس قد زاد، وانتشروا فى الأرض كالجراد!

على الطيار ربما بهرتهم الأسواق بما حوته من أشياء ومغريات؟

مسعود أو شغلتهم دنياهم عن ذكرنا، ونحن من نحن؟!

على الطيار بحثا عن الرزق، أو لقمة العيش، والله هو الرزاق.

مسعود أو بحثا عن اللهو يا شيخ على

على الطيار (**مستنكرا**) منذ متى كان يتم البحث عن اللهو؟ إنه موجود طالما كانت هناك شياطين.

مسعود معك حق.. ولكن ما الذى جاء بك فى هذه الساعة.. (**ينظر لأعلى**) إن السماء ملبدة بالغيوم، تكاد تمطر؟

على الطيار قلت آتى إليك قبل أن تمطر، عشرات الأسئلة تحيرنى! ولقد أطلت التفكير فأعيانى العقل عن الإجابات، ولم أعثر على ما يريحنى، ولهذا جئت إليك، نتشاور فى أمرنا، وما يحيق بنا من خطر.

مسعود (**مندهشا**) ماذا؟! أى خطر يا شيخ على؟

على الطيار الخطر الذى يهددنا.. ويقتلعنا من الأرض! ألا تشعر؟ (**يتململ"مسعود العدوى" ويبدو عليه الإنزعاج**) ربما لأنك فى معزل عن الناس!

مسعود ولكن أخبرنى؟ كيف تركت مقامك وأتيت؟ فأنا أعرف أن مقامك أصبح يتوسط القرية، وتحيط بك المنازل وسكانها من كل جهة.

على الطيار (**يضحك**) أنسيت أننى"على الطيار" أرحل متى شئت!

مسعود هكذا يظن الخلق، يا شيخ على.. الناس مخدوعون.

على الطيار بل هم يعيشون منذ زمان بعيد مرتاحين لهذا الإعتقاد.. (**مداعبا**) هل تغار منى ياشيخ مسعود..لأنك ساكن فى مقامك منذ زمن قديم.. يزورك الناس وأنت قابع لا تبارحه؟

مسعود قل ما شئت.. لكنك لم تخبرنى عن ذلك الخطر الذى أتى بك فى هذا الوقت.

على الطيار الناس وأحوالهم.. وما ينتظر منهم من فعل!

مسعود أفصح يا رجل.

على الطيار لا شموع.. ولا زيارات.. ولا تبركات

مسعود معك حق، ربما ظهر للناس شيوخ غيرنا! فالحال عندى مثلك تماما، الفرق الوحيد أننى أقيم هنا بجانب هذا الطريق (**مشيرا للطريق**) والبعض عند مرورهم يقرأون الفاتحة، والسيارات تمر من حولى مسرعة، وركابها إن قرأوا الفاتحة لا يتمكنون من

إتمامها إلا بعد أن يكونوا قد ابتعدوا عن مقامى!
حتى الفاتحة لم نعد نحظى بها يا شيخ على؟!

على الطيار إحمد ربك أنك تنال بعضا منها، أما أنا فقد تعود القوم على وجودى بينهم، فلا فاتحة، ولا زيارة.. بل هناك من يود أن يُزال ضريحى، ليقيموا مكانه سكنا أو حانوتا أو مقهى .

مسعود لا تقل هذا يا شيخ على، فأنت "الطيار" صاحب الكرامات، والسيرة العطرة، والبركات.

على الطيار (**ضاحكا**) هذا ما كان فى الزمن الذى فات. أما اليوم فقد تغير الحال وأضحى القوم فى الجهل غارقون!

مسعود جهل بعالِم زمانه ولىّ، جهل بمن وصل واتصل!

على الطيار لا أحد يقدِّر ذلك، سمعت أحدهم يقول لصاحبه: هل تعرف من هو سيدى على الطيار؟

مسعود (**متباهيا**) وهل يخفى على أحد قطبُ الأقطاب؟!

على الطيار الذى حدث أن الفتى ضحك وقال: لا يعرفه أحد إلا سيدى مسعود العدوى! (**يتململ مسعود فى مكانه بينما يكمل على الطيار حديثه**) ولهذا جئت إليك الآن!

مسعود العدوى يا أهلا ويا سهلا بك، يبدو أن الناس فقدوا إيمانهم يا شيخ على!

على الطيار أو قل زاد جهلهم بمن يباركوا فعلهم، ويسهلوا طلبهم

مسعود العدوى لابد أنهم خلعوا أردية الإيمان، ولبسوا ملابس الشيطان!

على الطيار أتساءل ليل نهار.. ألا يوجد بينهم من يعيد لهم الصواب؟

مسعود العدوى حمدا لله، حتى الآن لا يوجد حولى مقامات أخرى، ويبدو أن لا أحد من أهل البلدة يفكر فى بناء مقامات جديدة (**يشير إلى الضريح بجانبه**) لم يبق إلا هذا الضريح الذى عفى عليه الزمن.

على الطيار تُرى يا شيخ مسعود هل نَدُر فى هذا الزمان أهل الخير، وأصحاب الكرامات، وأولياء الله؟ لست أدرى ما الذى أصاب عقول الناس حتى لايقيمون أضرحة جديدة!؟

مسعود العدوى يعلم الله!

على الطيار هل من المعقول ألا يكون بين كل هذه الأعداد من البشر أولياء صالحين؟

مسعود العدوى لا تقل هذا، فالخير فى أمة محمد إلى يوم القيامة.

على الطيار (**باستغراب**) إذا ما هذا الذى يدور حولنا، وربما فى أماكن أخرى؟ إننى أخاف يا شيخ مسعود أن تختل عقولهم، ويهدموا أضرحتنا، ونُنقَل إلى مقابر العامة، ونختلط بالدهماء، ويزول عنا ما نحن فيه، ويضيع ما كنا نتمتع به!

مسعود العدوى (**بلهجة واثقة**) لا تخف! فأكثرهم يُقدروننا، ويحرصون على بقاءنا، لقد نشأوا فوجدونا، واعتادوا على وجودنا، ويطيب لهم اللجوء إلينا طلبا للبركة، أو أملا فى قضاء حوائجهم، لا تقلق فأكثرهم مرتاح لهذا الحال!

على الطيار لكن أكثرهم لا يعرفون من نحن، ويتساءلون فلا يجيبهم أحد! وهذا ما يدعو للقلق.

مسعود العدوى وما ذنبنا؟ لم يكن فى زماننا إعلام.. فلا صحف، ولا مذياع، ولا تلفاز!

على الطيار (**يضحك بصوت عالى يخرجه من وقاره**) ولا حتى هذاالصغير(**يحدد قدر كفه**) الذى يطلقون عليه المحمول ! (**يسمع صوت سيارة تتوقف، يبدو على وجه الشيخين الإنتباه والترقب، يدخل رجل فى ثياب ريفية، تتبعه فتاة فى متوسط العمر، فى ملابس ريفية، على قدر من الجمال، وهى تحاول إخفاء وجهها خجلا بإحدى يديها، بينما تحمل بعض الأشياء فى يدها الأخرى**)

الرجل السلام عليكم

الشيخان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (**يميل مسعود نحو على الطيار ويهمس فى أذنه**) الحمد لله، جاءنا زوار.

الرجل (**ناظرا نحو الضريح**) جئنا للشيخ مسعود، مدد يا عدوى.

مسعود العدوى وما هو طلبكم، إن شاء الله؟

الرجل البركة، ونيل المراد.

مسعود العدوى (**ينظر لعلى الطيار فى صمت، بينما يكمل الرجل الحديث**) أصارحكما القول، قبل أن نأتى إلى هنا مررنا على البلدة المجاورة قاصدين زيارة سيدى على الطيار، ولكن....

مسعود العدوى (**مقاطعا**)..... ولكن ماذا يا رجل؟

الرجل لا أخفى عليكما، سمعنا حكايات كثيرة! فقد أصبح ضريحه فى وسط البلدة بعد أن كان بعيدا فى طرفها، وكثر من حولِه الهرج والمرج.

مسعود العدوى كلها أرض الله.

على الطيار (**موجها حديثه للرجل**) وماذا يقول الناس عن سيدك على؟

الرجل (**فى استسلام**) سمعنا من يقول إن سيدى على الطيار لم يعد يُظهر كرامات، ولم تعد له بركات! (**عندئذ تغير وجه على الطيار وكاد أن يرد بغضب على الرجل لولا أن الشيخ مسعود نظر إليه موحيا بالسكوت**)

مسعود العدوى ألم تسأل عن السبب؟

الرجل يقولون أنـه لم يعـد يقـام لـه مولـدا، ولا يهـتم أحـدٌ بذلك.

مسعود العدوى لكنه موجود يا رجل (**ينظر الرجل فى ريبة، وقبـل أن يعلق سأله على الطيار**)

على الطيار وهل صدَّقت ما يقال أيها الرجل الطيب؟

الرجل بعضهم يحكى أنه منذ خمسين عاما ألغى كبير البلدة إقامة الإحتفال بمولد سيدى علـى الطيـار، فنفـق لـه عجل حنيز.. كرامات..أى والله كرامات!؟

مسعود العدوى وماذا سمعت أيضا؟

الرجل الناس لا تفهم! بل هم يتنـدرون ويقولـون إن سـيدى على الطيار طار، ورحل لمكان آخر، ومنهم مـن يظـن أنه طار إلى خارج الـبلاد! إلى مكـان سـكانه يعرفـون قدره، ويعترفون بمنزلته.

على الطيار وماذا كنت تريد من سيدك على الطيار؟

الرجل (**ناظرا فى ريبة لعلى الطيار**) نستعين ببركاتـه علـى حالنا.

على الطيار أنت الآن فى حضرة سيدك مسـعود العـدوى، أطلـب منه المدد، والإستجابة والفرج.

مسعود العدوى وما هو طلبك الذى تبغى إجابته؟ (**تبتعد الفتاة فى أقصى المكان**)

الرجل كنا بعد أن ضاقت بنا السبل نذرنا بعض الأشياء، ودستة من الشموع لو حل بنا الفرج، وكان النذر لسيدى على الطيار، ولكن كما ذكرت لكماً آ...

على الطيار (**مقاطعا**).... لا فرق بين سيدك على وسيدك مسعود! فيا ترى هل تخبرنا ما هى المشكلة؟

الرجل ابنتى..(**يشير نحو الفتاة هامسا**) فاتها قطار الزواج.

مسعود العدوى (**ينظر نحو الفتاة**) هذه العروس الجميلة؟

الرجل الراغبين فى الزواج منها كُثر

على الطيار إذن ما هى المشكلة؟

الرجل المشكلة أنه كلما تقدم للزواج منها شخص،لا تمضى أيام إلا ويتراجع عن طلبها، ولم يعد أمامنا بعد أن تكرر ذلك إلا أن نسلم الأمر لله، ولكن البعض أشار علينا أن نذهب للسحرة والعرافين، إلا أننا ـ والعياذ بالله ـ لم نفعل ذلك وإنما لجأنا للطريق القويم، وهو الإستعانة بأولياء الله!

مسعود العدوى ألم تحاول معرفة سبب ما يحدث لإبنتك؟

الرجل فى العام الماضى ذهبنا إلى سيدى التهامى.

مسعود العدوى (**متعجبا**) سيدك التهامى؟

الرجل نعم ذهبنا إليه ومعنا النذور، والشموع، وتركناها للقائمين على خدمة مقامه. ويبدو أننا أخطأنا لأننا ذهبنا بعيدا عن منطقتنا، ولكننا عدنا – والحمد لله – إلى من هم أولى وأحق! والآن اسمحوا لنا أن نتوجه لمقام سيدى مسعود. (**ودون أن ينتظر من الشيخين ردا .. ينادى على الفتاة فتقترب منه، فيمسك بها، ويتجها معا للضريح، فيتناول منها اللفافة التى فى يدها، ويضعها أمام باب الضريح، ويتمتم بالتوسلات وبالدعوات، ويغادر المكان ملوحا للشيخين، والفتاة تتبعه، ما أن يخرجا حتى ينهض مسعود العدوى ويتجه لباب الضريح ويتناول اللفافة ويفضها ويخرج منها شمعة، يتفحصها جيدا، ثم يتجه لعلى الطيار وهو يضحك**)

مسعود العدوى (**رافعا يده لأعلى وبها الشمعة**) أترى يا شيخ على؟!

على الطيار (**مازحا**) سيضاء مقامك الليلة، ويغطى ضوءه على ضوء القمر!

مسعود العدوى شموع يا شيخ على!؟

على الطيار تقبل ما يجود به الناس على قدر عقولهم.

مسعود العدوى الكهرباء! الكهرباء قضت على الشموع وزمانها، الدنيا تطورت، والأحوال تغيرت يا شيخ على (**ضاحكا**) وما زالوا يحضرون لنا الشموع!؟

على الطيار لا تعجب.. فقد ضاقت عليهم دنياهم، وكثرت مشاكلهم، وعندما يعجزون ويستعصى عليهم الحل يلجأون إلينا، وليس لديهم ما يقدمون سوى الشموع والضراعات. (**تدخل امرأة تخطت الأربعين فى ثياب ريفية وبصحبتها فتاة بملابس أهل المدن.. ينظر إليهما "مسعود العدوى" و"على الطيار" وقد بدا على وجهيهما البشر**)

مسعود العدوى (**مستفسرا**) خير إن شاء الله؟

المرأة خير يا سيدنا.. قالوا لنا إن زيارة واحدة لسيدى مسعود سيكون فيها البركة، وتُحل العقدة، وتنفرج الأزمة، ويأتى الفرج! **(ينظر الشيخ مسعود لعلى الطيار)**

مسعود العدوى وما هى الأزمة؟

المرأة والدها (**تضع كفها على كتف الفتاة التى تقف فى صمت)** والد البُنيَّة.

مسعود العدوى مريض؟

المرأة أبدا.. هو فى كامل الصحة.

مسعود العدوى الدعاء له بدوامها.. وبالفرج..

المرأة أدعو معى يا عم الشيخ أنت وهذا الرجل أن تحل بركات سيدى مسعود، ويرقق قلب الحاج عبد العال على ابنته **(تربت على الفتاة التى ارتسم على وجهها الضيق)** ويلهمه الصواب، وحسن الجواب، وأن يوافق على زواج "إبتهال" و"محمود".

على الطيار ولماذا يعترض الحاج عبد العال على زواجهما؟

الفتاة **(فى انفعال)** مهما حدث لن أتزوج إلا من محمود.. هذه حياتى وأنا حرة!

مسعود العدوى (**ينظر إليها مستنكرا جرأتها**) سوف يتم المراد بإذن الله.. وعليكم بالصبر!

(تتوجه المرأة نحو الضريح وتُخرج من ثيابها بعض النذور وتضعها أمام باب الضريح، وتقف فى خشوع تمتم بالدعاء، وقد اكتسى وجهها بالرضا، ودلت ملامحها على القناعة بأنه سيجاب طلبها، وتخرج وفى صحبتها الفتاة..)

على الطيار الحمد لله ما زال فى القوم أناس يقدرون مقاماتنا.

مسعود العدوى المشكلة فى أبناء هذا الجيل!

على الطيار معك حق..! ماذا فى استطاعتنا أن نفعل لهم؟ أو نجد حلا لمشاكلهم يا شيخ مسعود؟ فى العام الماضى لم يزر ضريحى إلا شخص واحد، وضع على بابى أطايب الطعام والشراب، وألح فى الطلب وقبَّل الأعتاب!

مسعود العدوى وماذا يا ترى كان الطلب؟

على الطيار أمر لا يقدر عليه إلا صاحبه!

مسعود العدوى هل كان واحدا من الشباب؟

على الطيار بل شيخ عجوز، جاء يطلب لولده النجاح فى دراسته، وكان الرجل سخيا فى عطائه، لكن ولده كان فاسدا، يتعاطى دواءً يذهب العقل، ويفسد اللُّب، فلا يمسك الفتى كتابا، ولا يعرف من المجدين أصحابا.

مسعود العدوى (**آسفا**) وطبعا مر العام ولم ينجح المذكور، ويتحمل الشيخ على الطيار وزر الرسوب، وفشل الولد اللعوب! لنا الله.

على الطيار هذا بالفعل ما كان. إنه جيل عجيب، فبرغم وجود الخائب منهم، إلا أن بعضهم لا يكفون عن البحث والتنقيب، ومحاولة كشف المستور، وجلاء الأمور، والتزود بالعلوم، لمعرفة حقيقة الأشياء.

مسعود العدوى (**فى حسرة**) وهؤلاء هم من يهددون ما جنيناه على مر السنين والأيام.

على الطيار وما العمل يا شيخ مسعود؟

مسعود العدوى نحن لا نملك شيئا، ولا نستطيع حلا.. وظنى أن الناس لم يعودوا يعبئون بإقامة الإحتفال بموالدنا كما كان آباؤهم يفعلون!

على الطيار بل هم يفكرون فى رحيلنا، أو ترحيل ما بقى من رفاتنا إلى مقابرهم.

مسعود العدوى لا حول ولا قوة إلا بالله.. ووالله يا أخى من هجْر الناس وانشغالهم عنا نسيت مولدى، هل تذكر مولدك يا شيخ على؟

على الطيار (**ضاحكا**) وأنا صغير كان فى البر المصرى قوم غرباء، يطلقون عليهم "خواجات"، وكانوا يباركون ما يفعله الناس طالما لا يضر الفعل بمصالحهم، بل كانوا يشجعون ما يحلو لأهل البلاد من عادات، وكان الناس كلما وجدوا بينهم من هو أهل للصلاح، وبعد مرور السنوات وحدوث الممات، يبنون له مقاما، ويحدد القوم يوما للإحتفال ويصبح هذا اليوم الذى يحتفلون فيه هو يوم المولد! لافرق بين يوم الميلاد أو يوم الممات، المهم الإحتفالات، هيه يا شيخ مسعود.! كم مرت علي من أحداث أنستنى ما فات! ولا أظن أننا سنجد قوما يحتفون بنا كما كان يفعل أهل هذا الزمان.

مسعود العدوى (**وهو يداعب بأنامله حبات المسابح المتدلية على صدره**) وأنا مثلك يا شيخ على، لا أذكر متى أقام الناس أول إحتفال بمولدى! ولا أعرف متى كان يوم مولدى، والآن لا أعرف ما الذى يدور فى الساحة المجاورة!

على الطيار أذكر أنهم كانوا منذ أعوام يتجمعون فى حلقات الذكر، يذكرون المولى، ويبتهجون بالرسول.

مسعود العدوى اليوم إن أقاموا مولدا يأتون بالمشين من الأفعال، والسيء من الخصال، وما لا يرضاه الدين من طيب وحلال.

على الطيار (**مستنكرا**) وما ذنبى وذنبك فيما يفعلون، فلقد تحول الإحتفال بنا إلى أكل طعام، وملء بطون.. ولهو وقمار ومجون.

مسعود العدوى ليس إلى هذا الحد ياشيخ، الشباب يفرح بطريقته

على الطيار (**ناظرا إليه فى تعجب**) تعنى أن معهم حق فيما يصنعون!؟

مسعود العدوى معهم حق يا شيخ فهم لا يعرفون من نحن.. فلا سجلات أو أوراق، ولا نقوش ولا حفريات، تعرِّفهم من هو الشيخ على الطيار، ومن هو الشيخ مسعود العدوى.. أليس كذلك؟

على الطيار وهل هذا يبرر ما ينوون فعله؟ يتوقفون عن إقامة الموالد.. ألسنا من أولياء الله؟! وليت الأمر يقف عند هذا الحد، إنهم يزيلون معالمنا، ونحن من يحج إلي مقاماتهم البسطاء، ويتبركون بزيارتنا، والوقوف على أعتابنا.

مسعود العدوى وماذا نحن فاعلون يا شيخ على؟

على الطيار ما دام الخلق قد توقفوا عن الطواف، فلا مفر من أن أقوم أنا بذلك! سوف أطوف على كل المقامات.. أنبه القاطنين فيها بما سيحدث لنا، وما سيؤول إليه مصيرنا إن نحن سكتنا على ذلك!

مسعود العدوى (**مبتهجا بالفكرة**) وعليك وأنت تطوف على المقامات،أن تجمع منها البركات، وتدعو لإقامة مولد لكل ولى من أولياء الله، لتحل على البلاد البركات، ويستمر الناس فى اللجوء لمقاماتنا، وتقديم الهدايا

والنذور، والتوجه إلينا بالطلب والدعاء، وتحقيق الأمل والرجاء.

على الطيار وتقديم الإحترام والإجلال، وقولهم سيدى فلان قبل كل نداء، وسوف أبدأ بالذهاب إلى مقام الشيخ التهامى، طيب الله ثراه، وأمده مددا لا ينقطع، ونورا لا ينقشع!

مسعود العدوى (**يبسط كفيه، ويتوجه ببصره لأعلى**) بركاتك يا سيدى التهامى!

(ينهض"على الطيار" فى همة ونشاط، فيودعه مسعود العدوى معانقا، وبعد أن يخرج على الطيار يفتح مسعود باب الضريح ويدلف إليه، وبينما يخفت الضوء نسمع صوت باب الضريح وهو يغلق)

ستار

-٤-

القاهرة مدينة الأحلام

وربما خارجها

يوم أجازة

الشخصيات :

"شملول" يعمل سائق سيارة أجرة (تاكسى)

"وهيبة" زوجة شملول فى العقد الرابع

"عارف" أخو وهيبة

"شرْبات" ابنة شملول

المنظر:

(صالة يبدو فى جانبها باب المطبخ وقد فتح على محتوياته، حيث يظهر فى جانبه موقد للغاز، وفى المواجهة دولاب استقر نصفه العلوى على قطعة رخام، وضعت عليها بعض الآنية والأكواب، نسمع رنين الجرس الخارجى للشقة، فتخرج "وهيبة" من باب حجرة فى الجهة المقابلة، تتجه نحو الباب، تفتحه لتفاجأ بزوجها حاملا فى يده لفافة فى حجم صندوق صغير، تتركز نظرتها علي اللفافة وفى دهشة تسأل زوجها:

وهيبة (**فى دهشة**) ليس هذا ميعاد عودتك، ما الذى جاء بك الآن؟ هل تعطلت السيارة؟ (**لا يرد وإنما يتجه إلى المطبخ**) طالما حذرتك من شراء سيارة قديمة، هذه نتيجة عدم سماعك النصيحة! (**ينظر شملول لزوجته وقد ارتسمت على وجهه ملامح تجمع بين الفرحة والتحفز للرد عليها لكنها تستطرد**) أين تركت السيارة يا رجل؟ إياك أن تقول أنه حدث لك حادث وتلقى باللومِ على الزحام، وعلى السائقين من زملاءك العباقرة، وتتهمهم بالغباء واللامبالاة.

شملول السيارة تقف أمام المنزل، ولم تتعرض لحادث، وكل ما دار بذهنك خيال يا وهيبة.

وهيبة إذن ما الذى جاء بك فى هذا الوقت؟ لقد خرجت فقط منذ ساعتين وها قد عدت وأنت لم تفعل ذلك من قبل، ففى كل يوم تخرج فى الصباح ولا تعود إلا فى المساء، حتى غداؤك تتناوله خارج البيت.

شملول (**ضاحكا**) ألم يكن من الأوفق أن تُعدى لى كوبا من الشاى، ثم تلقين على ما شئت من الأسئلة؟

وهيبة (**تتصنع الرقة**) قل لى أولا ما الذى جاء بك مبكرا؟ هذه ليست عادتك يا حبيبى؟ (**تقترب منه**) أرجو ألا يكون قد أصابك مكروه، ولكن أخبرنى ما هذه اللفافة؟ هل جئت لنا بهدية؟ بمناسبة...آ...لا توجد مناسبة إذن ما هذه.. دعنى أفض غلافها (**تمد يدها محاولة الإمساك باللفافة لكنه يمنعها**)

شملول كوب من الشاى أولا.

وهيبة وماذا بها يا زوجى العزيز؟ أهو سر؟

شملول (**مبتسما ومراوغا**) كل الخير

وهيبة هل ما بها قطعة واحدة أم قطع كثيرة؟ لكى تعطينى قطعة واحدة .. (**فى دلال**) قطعة واحد.. حبيبى.

شملول (**مبتسما فى خبث**) واحدة فقط؟ كلها من أجل عيونك!

وهيبة وما المانع الآن؟ دعنى أتذوقها إن كانت تؤكل

شملول لا تتعبى نفسك، (**وهو يكتم ضحكته**) لا تؤكل.. بل تشرب.. هيا أعدى الشاى

وهيبة سأعد الشاى.. حتى تجعلنى أتذوق (**تتجه نحو الموقد لكى تعد له الشاى، وبدافع من الفضول تستدير له وتسأله**):

لماذا لا نؤجل شرب الشاى ونشرب سويا مما أحضرت.. (**تضع يديها على كتفه فى تودد**) إنك زوجٌ رائع.. تترك عملك وتحضر للبيت حتى تشرب مع زوجتك، كان من الممكن أن تشرب فى الخارج وحدك.. يا لك من رجل صاحب قلب طيب.

شملول لا تتعبى نفسك .. فأنا أعرف أنك لن تسكتى قبل أن تعرفى ما فى هذه اللفافة.. الشاى أولا.

وهيبة أبدا.. أبدا.. كل ما فى الأمر إننى أردت أن أعرف مدى حبك.. سأعد لك الشاى طالما كانت هذه رغبتك (**تستدير نحو الموقد وتبدأ فى إعداد الشاى ولا تكف عن السؤال دون أن تدير له وجهها:**) هل عدت فى هذا الوقت من أجلى؟

شملول هل من الغريب والعجيب أن أعود يوما إلى منزلى فى غير الموعد المعتاد؟ فليكن اليوم أجازة.. أليس من حق المرء أن يحصل على أجازه؟! اليوم أجازة .. إفرح يا شملول وانشرح.. وغنى وارقص اليوم أجازة (**يؤدى حركات راقصة.. وتستدير وهيبة لتجد زوجها على هذا الحال**)

وهيبة (**مندهشة**) الله.. الله.. ما هذا يـا رجـل؟! آه لقـد عرفـت.. (**تتجه نحو اللفافة، وتحاول الإمسـاك بها،لكنـه يخفيهـا خلف ظهره**)

شملول عرفتِ ماذا أيتها الزوجة النبيهة؟

وهيبة لا بد أن أحد الركاب.. (**تنظر إليه فى ريبة**) هيا اعترف.

شملول أعترف بماذا؟ (**وهو يداعبها**) يا زوجتى العزيزة.

وهيبة لابد أنها كانت سيدة؟ بالطبع كانت.....

شملول (**مقاطعا وهو يضحك**) ..... والله لم يركب معى هذا الصـباح سوى رجل واحد، رجل ليس ككل الرجال.

وهيبة (**تنظر إلى عينيه**) "عينك فى عينى" بعد ان أوصلتها للمكـان الذى تقصده، اكتشفت أنها تركت هذه اللفافة؟ لم تكـن فـى وعيها!

شملول قلت لك كان رجلا ليس ككل الرجال! ترك هذه اللفافة

وهيبة وطبعا أنت لا تعرفه.. ولا يمكنك الوصول إليه.. ولهذا تركت العمل وجئت بما غنمت؟

شملول هذا بالضبط ما حدث.

وهيبة لم أعهدك تتصرف هكذا يا شملول، أنت الرجل الأمين تترك عملك وتفرح بما يتركه راكب أو راكبة، وتأتى به إلى منزلك؟! ولكن أخبرنى كيف عرفت ما فى داخل هذه اللفافة؟

شملول كان الرجل كريما، ولم يُخف عنى شيئا! بل إنه ائتمننى على ما حوته هذه الورقات. هل تودين معرفة شيء آخر؟

وهيبة حتى هذه اللحظة أنا لم أفهم شيئا.

شملول ليس ذنبى أنك لا تفهمين! قلت لك: ترك الرجل هذه اللفافة وهو يعرف أننى أمين على ما بها.

وهيبة وأين ذهب الرجل؟ هل طلب منك أن توصلها إلى مكان ما؟

شملول أبدا.. أبدا.. وكأنك تجرين معى تحقيقا.. أعدى الشاى، وسأحكى لك ما حدث حتى تستريحى يا وهيبة.

وهيبة كلما سألتك تتهرب من الإجابة.. أشعر أن هناك أمرا غير طبيعى! أنت لا تريد أن تريحنى، (**تحدث نفسها**) اصبرى يا وهيبه (**تتجه نحو الموقد**) لكنك دون شك تعرف ما تحتويه.

شملول أعرف.. طبعا أعرف.. المشكلة أ....

وهيبة (**مقاطعة فى دهشة**) ....مشكلة!؟ وهل وراء هذه اللفافة مشكلة؟

شملول المشكلة ليست فيما وراءها.. ولكن فى كيف يتم بيعها!

وهيبة ولماذا نبيعها؟ نشربها إن كان لا يمكن إعادتها لصاحبها.. لقد وعدتنى أن أتذوق طعمها.. هيا أوف بوعدك، وسأحل لك المشكلة.. إن كانت عصيرا، أو كان يُصنع منها العصير لا تقلق (**تستمر فى عمل الشاى وتنادى على ابنتها**) يا "شربات" (**تظهر "شربات" وتبدو على وجهها الدهشة لرؤية والدها**)

شربات ما الذى جاء بك فى هذا الوقت يا أبى؟

وهيبة جاء لنا ومعه الخير.. ترك العمل وأصر أن نشاركه ونقتسم معه غنيمته

شربات (**وهى تنظر إلى اللفافة**) وماذا فى هذه اللفافة؟

وهيبة أباك يقول إنها مفاجأة.. حتى عندما سألته عما بها.. هل هو شىء يُؤكل؟ قال بل يُشرب.. ولكنه يقول إن وراءها مشكلة!

شملول يا شربات يا حبيبتى أمك تفشى كل الأسرار.. اعطنى كوب الشاى ودعونى وحدى إلى أن أجد حلا للمشكلة.

وهيبة (**تناوله كوب الشاى الذى أعدته**) كما تحب يا زوجى العزيز، وفقك الله لحل المشكلة، ولكن لا تضيع الوقت واخرج إلى سيارتك، فالزبائن يقفون على الأرصفة فى انتظارك. (**وهى تمسك شربات من يدها**) تعالى يابنتى حتى يشرب والدك الشاى.(**تخرج وهيبة ومعها ابنتها وهما يتهامسان بينما يشرب شملول الشاى، يضع الكوب الفارغ من يده ينادى على زوجته .. تعود وهيبه إلى المطبخ فينهرها قائلا**)

شملول ما هذا يا وهيبة ؟! تنادين على شربات فى هذا الوقت وتشركينها معنا فى حديث لا يهمها ! !

وهيبة وما الغريب فى هذا؟ إنها ابنتنا!

شملول أما رأيت علامة الدهشة على وجههاعندما فوجئت بوجودى؟ ثم حديثك عن هذه اللفافة.

وهيبة وماذا فى هذا يا رجل؟

شملول لقد أثرت فضولها.. فراحت تسأل عما بها ومن يشرب منها ومن لا يشرب..

شربات (**بلهجة حادة**) دعك من كل هذا وقل لى ما هو الشراب الذى فى هذه "الهبابة"؟

شملول حشيش!

وهيبه (**منزعجة**) تقول ماذا؟

شملول (**فى هدوء وبصوت منخفض**) ما سمعتِ.. حشيش!

وهيبة تأتى بالحشيش إلى منزلنا؟

شملول (**ساخرا**) وما العيب فى هذا؟ أنا لا أتعاطاه.. ولا أتاجر فيه! وإنما هو رزق ألقاه الله عليَّ.

وهيبه ألقاه عليك.. لا تمزح يا شملول، واصدقنى القول من أين لك هذا؟

شملول (**مستمر فى هزله**) نزل على من السماء!

وهيبه السماء لا تنزل حشيشا، وإنما تنزل مطرا.

شملول ولكنها أنزلت علىَّ حشيشا.. (**وهو يضحك**) أنزلت خيرا.. ألا تحبين الخير؟!

وهيبه لابد أنك تمزح يا زوجى العزيز (**تقترب منه وتتودد إليه**)

شملول لماذا لا تصدقيننى؟

وهيبه لأنك تقول كلاما غير معقول! قل الحقيقة.. هل اشتريت هذا المخدر؟

تريد أن تتاجر فى أشياء ممنوعة؟ تترك سيارتك التى تجلب لك الرزق الحلال وتتاجر فى الحشيش!

شملول (**بضيق**) يا أم شربات لن أترك عملى كسائق تاكسى.. ولن أتاجر فى الحشيش.. هل استرحتِ؟

وهيبه لا!.. لم أسترح.. كيف حصلت على هذه اللفافة! ولماذا جئت بها إلى منزلنا؟ وأراك تكاد تطير فرحا!

شملول إنها ثمنا لساعتى! (**يكشف عن معصمه ويشير لموضع الساعة**)

وهيبه (**فى دهشة**) ساعتك؟ الساعة التى أهديتها لك كى تضبط مواعيدك مع زبائنك؟! سامحك الله يا شملول.. تشترى بالساعة حشيشا يا رجل؟

شملول (**تعود إليه البسمة**) وهل تعتقدين أن تلك الساعة تكون ثمنا (**يمسك باللفافة**) لهذه الكمية من الحشيش؟ أنت لا تعرفين شيئا.. هذه سوف تغير أوضاعنا.

وهيبه أليس هذا حراما؟

شملول يا وهيبة يا حبيبتى.. حقا أنا بعت الساعة.. نعم بعتها، وجاءنى ثمنها حشيشا رغما عنى!(**يسمع طرق على الباب، يرتبك شملول، ويحاول إخفاء اللفافة فى دولاب المطبخ، بينما تذهب وهيبة لترى من الطارق.. تفتح باب الشقة فإذا بها تجد أخاها "عارف")**

عارف صباح الخير.

وهيبه (**مرحبة**) صباح النور

شملول (**من داخل المطبخ**).. أهلا يا عارف

عارف كنت أسير أمام منزلكم (**موجها الحديث لشملول**) فوجدت سيارتك واقفة.. (**مستفسرا**) خير إن شاء الله؟

شملول (**يخرج شملول من المطبخ ويصافح عارف ويجيب متلعثما**) خير..! الشوارع مزدحمة.. جئت أستريح قليلا.

وهيبه (**تنظر لزوجها فى دهشة**) اليوم أجازة ، والشوارع تكاد تكون خالية.

عارف (**لأخته**) معك حق.. (**يوجه الحديث لشملول**) هل تعطلت سيارتك؟ أم أنك لم تجد زبائن؟

شملول زبون واحد يكفى!

وهيبه منذ أن حضر وأنا أسأله، وألح عليه أن يخبرنى ، ولكن..

عارف (**مقاطعا**)... ولكن ماذا؟ أراك قلقا يا شملول.. ماذا هناك؟ أفصح يا رجل فأنا صديقك قبل أن تكون نسيبى.

وهيبة اخبره يا شملول عن المصيبة!

عارف (**فى دهشة**) مصيبة؟ هذا ما توقعته عندما وجدت السيارة تقف أمام منزلكم.. (**يقترب أكثر من شملول، ويربت عليه**)

وهيبة وقل له يا زوجى العزيز ماذا أحضرت معك؟ واخبره أيضا أين ذهَبَت ساعتك؟ أما عن الخير القادم فحدث ولا حرج!

عارف ما كل هذا؟ الأمر يحتاج إلى جلسة (**يمسك شملول بذراع عارف ويصحبه للجلوس.. ويجلسان**)

شملول هيا أعدى كوبا من الشاى لأخيك.

عارف وما كل هذه الأمور التى ذكرتها وهيبة وهى غير راضية؟ هل حدث لك مكروه فى الشارع؟

وهيبة (**وهى فى طريقها للمطبخ**) بل جاء لا تسعه الدنيا من الفرح!

عارف ما دام الأمر كذلك سأشرب الشاى واترككما معا. (**يضحك**)

شملول سوف تشرب الشاى وتبقى معنا، فحسنا أنك جئت فى هـذا الوقت فأنا احتاج إليك.

عارف إذا فقد كنتُ علـى حـق، ولم يكـن شـعورى كاذبـا، فعنـدما شاهدت سيارتك حدثتنى نفسى أنك ربما تحتاج مساعدة.

(تأتى وهيبة بكوب الشاى وتضعه أمامهما)

شملول لا توجد هناك مصيبه كما تدعى وهيبة

وهيبة كل هذا وتقول لا توجد.. سوف أتركك تقول لعارف عن هـذا البلاء الذى جئتنا به اليوم.

عارف (**وهو يرشف من الكوب**) فرَحٌ أم بلاء، لم أعد أفهم شيئا؟!

شملول بل فرح، وسوف ترى.

عارف إذن دعنا نفرح سويا، ما هى الحكاية؟

شملول يا صديقى لم أتعرض لا أنـا ولا سـيارتى لحـادث، أو ينالنـا مكروه، كل ما حدث أننى خرجـت صـباح اليـوم كعـادتى.. ولأن اليوم أجازة، تجولت فى شـوارع القـاهرة، وفـى شـارع شبرا أشار لى شخص يلبس جلبابا بلـديا، فتوقفـت، وركـب بجانبى وطلب منى أن أوصله إلى "ترب الغفير"

عارف لا بأس

شملول فى الطريق دار بينى وبينه الحديث عن المدينة وأحوالها، ثم سألنى هل أنت من القاهرة؟

عارف (**مبتسما ومداعبا**) طبعا قلت له أنك مولود بها!

شملول بل أخبرته بالحقيقة، قلت له إننى من كفر الشيخ، فأخرج الرجل علبة التبغ، وسألنى إن كنت أدخن فأجبته بالإيجاب، فأعطانى سيجارة، ثم نظر إلى وابتسم بخبث!

عارف هكذا تكون التحية مشفوعة بنظرة خبيثة،لابد أن السيجارة كانت محشوة.

شملول (**هامساً**) إخفض من صوتك.. فعل الرجل هذا وهو يركز بصره على الساعة فى معصمى، وقال: ساعتك هذه جميلة ويبدو أنها أصلية؟ قلت له تفضل

عارف كما يقولون "عزومة مراكبية"؟

شملول ومن شدة إعجابه عرض على أن يشتريها بأكثر من ثمنها الذى ذكرته.

عارف أعرف أن هذه الساعة كانت هدية لك من وهيبة، أليس كذلك؟

شملول نعم .. ولكن الرجل عرض على ضعف ثمنها.

عارف وطبعا وافقت.. فأنا لا أراها فى معصمك. وتلك كانت المصيبة التى أغضبت زوجتك؟

شملول (**دون أن يوافقه**) خلصت الساعة من معصمى وأعطيتها للرجل فوضعها فى معصمه وراح يتأملها فى فرح وقال: سوف لا تصدق.. منذ الصباح وأنا أبحث عن سائق يتصف بالرجولة والجسارة.. الحمد لله أننى التقيت بك، إذهب بنا إلى حى عين شمس!

عارف و"ترب الغفير" ؟

شملول قال عين شمس أولا!

عارف ولماذا وصفك بهذه الصفات الرائعة؟

شملول يبدو لأننى تناولت منه تلك السيجارة التى حشيت بمخدر!

عارف ولهذا وصفك بالرجولة والجسارة ها ها!

شملول ما إن أصبحنا داخل الحى حتى أوقفنى ونزل من السيارة وطلب منى الإنتظار.. ودخل إلى إحدى العمارات

عارف وطبعا معه الساعة؟

شملول كدت أنادى عليه.. ولكننى أحسست بالحرج

عارف وطبعا لم يعد؟!

شملول غاب بعض الوقت وعاد يحمل لفافة فى يده وقد بدا عليه الفرح، واستأذننى أن يضعها فى "تابلوه" السيارة، ثم طلب منى أن أذهب إلى "ترب الغفير"

عارف وهكذا طالت المسافة.. واتسع رزقك؟!

شملول هذا ما حدث. ما أن وصلنا شارع صلاح سالم، حيث يطل على المكان الذى قصده حتى أوقفنى ورجانى أن أنتظره حتى يحضر بعض النقود ليكمل ثمن الساعة.

عارف وترك اللفافة فى تابلوه السيارة؟

شملول نعم وهمس لى فى دهاء: أحلى صنف

عارف ستقول ولكنه لم يعد؟!

شملول (**متعجبا**) كيف عرفت؟

عارف كل شىء بات واضحا يا شملول!

شملول هذا ما حدث بالفعل.. فقد انتظرتُه أكثر من نصف ساعة.. لكنه لم يعد.

عارف (**ضاحكا**) أقسم لك، أنه ما أن اختفى عن نظرك بين البنايات حتى أدرت موتور سيارتك وعدت مسرعا إلى البيت!

شملول **(يضحك فى خبث)**

عارف من المؤكد أن عقلك الذكى حدثك أن باللفافة كنز يستحق الإستيلاء عليه؟

شملول قلت لك إننى انتظرته.

عارف لا عليك.. المهم أين هذه اللفافة أيها الثعلب.

شملول فى المطبخ.. **(تدخل وهيبة عليهما)**.

وهيبة يقول إن بها حشيش.. هل تصدق هذا يا عارف؟ يأتى بالحشيش إلى منزلنا! ماذا لو عرفت شربات بذلك؟! **(بعصبية وبصوت منخفض)** لابد أن تتخلص من هذا البلاء فورا.

عارف أتركينا وسوف نسوى الأمر معا. "**تخرج إلى حيث ذهبت ابنتها**".

شملول **(لعارف)** لكنك – كما تعرف – ليس لى حيلة.. كيف أتصرف فيما حوت تلك اللفافة!

عارف إذا لماذا أحضرتها يا أيها الهمام؟ عموما لا تحمل هما وأترك لى هذه المهمة. **(متداركا)** ولكن هل أنت متأكد أن ما بهذه اللفافة حشيشا ؟ ألا يجوز أن يكون بها صنفا آخر؟!

شملول تقصد آ.....

عارف .... أفيون؟ ربنا يسمع منك، وجائز يكون هيروين تبقى "احلوت وزهزهت!"

شملول أسكت كى لا تسمعنا أختك

عارف (**مازحا**) بالله عليك! هل انتظرت نصف ساعة كما قلت؟

شملول ضع نفسك فى مكانى، هل كنتَ تظل منتظرا طول اليوم؟ هل أتعطل عن عملى؟ (**متهكما**) أم أنادى بأعلى الصوت قائلا: يأهل "ترب الغفير" من منكم رأى رجلا يلبس جلبابا؟

عارف كانوا سيقولون مجنون فقد عقله.. حسنا ما فعلت.. هيا.. هيا.. تحرك واحضرها يا بطل. (**ينهض شملول ويتجه للمطبخ، بينما يفرك عارف يده فى غبطة**)

شملول (**من داخل المطبخ مشيرا لعارف**) يحسن أن تأتى إلى هنا. (**ينهض عارف ويدخل المطبخ**)

عارف هل تخاف زوجتك؟. دعها ترى ما جلبتَه!

شملول (**وهو يفتح باب الدولاب**) دعك من هذا المزاح.. الخوف أن تحضر شربات مع أمها؟!

عارف لا تخف (**يخرج شملول اللفافة من الدولاب، ويضعها أمامه، ويفض الأوراق التى تغلف محتوياتها، بينما تتركز عليها عين عارف فى اهتمام وترقب، والفرحة تبدو فى حركاته.. فجأة تتسع حدقتا عينيه.. ويبدو التحول على وجهه وهو يتبين – على ما يبدو – أن ما باللفافة ليس حشيشا! فيمسك بإحدى القطع التى بداخلها ويشمها ويصيح بصوت عالى وهو يضحك ضحكات هيستيرية، ويضرب كفا بكف**): يا ولاد الحلال شملول أصبح بهلول! (**تدخل وهيبة مسرعة وقد بدت عليها الدهشة.. تجيل بصرها فى المكان مستفسرة وتنظر تارة لأخيها الغارق فى الضحك .. وتارة لزوجها الواقف فى خجل وذهول، وتنقل بصرها بينهما مستفسرة**)

وهيبة ماذا هناك؟! ما الذى حدث؟

عارف زوجك يا وهيبة!

وهيبة ماذا به؟

عارف (**ومن خلال الضحك يهذى قائلا**:) زوجك لم يعد شملول.. زوجك أصبح بهلول! (**تتزايد الدهشة على ملامحها وتكتم ابتسامتها**) افرحى زوجك احضر لك أجمل هدية! صابون! يا وهيبه صابون (**تتحول ملامح الدهشة تدريجيا إلى بسمة**) زوجك باع الساعة.. واشترى صابون (**تقف وهيبة فى ذهول من المفاجأة.. وتتقدم نحو اللفافة تعبث بيدها فى محتوياتها، وتمسك بواحدة وتشمها، فإذا هى قطعة صابون مما تنظف به الآنية!.. بينما تدخل "شربات" على إثر الضحكات والأصوات المتداخلة.. ويلتف الجميع حول اللفافة.. وتنتقل عدوى الضحك بينهم.**)

ستار بطىء

-٥-

الرحيل إلى الكوكب المفقود

حلم

تغريد (مونو دراما)

الشخصيات:

تغريد: فتاة عربية..

كهل تخطى الثمانين

(نسمع صافرة الإنذار تعلن الأمان.. يفتح الستار.. ويضاء المسرح رويدا رويدا لنرى صالة فقيرة المحتوى، فى الجانب الأيمن نافذة مغلقة، وفى الجانب الأيسر باب مغلق، يتسرب من خلفه صوت أمواج البحر تتكسر على الشاطىء.. فى المنتصف برميل كبير من الصاج تلتصق به أريكة، يتمدد عليها شيخ عجوز رث الملابس، يتكئ على وسادة فوق البرميل، ويمسك فى يده "منشة"، يحركها وينظر للأرض، وبجانبه المدخل الرئيسى، تكتمل الإضاءة لتنهض من خلف البرميل فتاة متثاقلة الخطو، متهدلة الشعر، حافية القدمين، تحاول التخلص من حالة الخوف التى تبدو على ملامحها، تستطلع بنظرها أرجاء المكان)

تغريد وطنى.؟!(**تصف ما حدث للوطن**) جحافل هولاكو.. جاءوا بالليل..أحالوا كل قلوب الوطن المخضرة حزنا أضحت جرداء..دخلوا بعيون الناس.. فصارت تمطر دمعاً.. فعلوا كل الأشياء الآثمة النكراء (**للجمهور.. بصوت هادىء**) وأنا؟ من أنا؟ أنا تغريد؟! نعم أنا تغريد (**تشيرإلى صدرها وتضحك ساخرة**) لماذا؟ (**باستنكار مقلدة صوتا غير صوتها**) أنت كالعصفورة.. سوف تحلقين.. تغردين.. تملئين الدنيا نغما عذبا، وكلما مر يوم ازددتِ جمالا وبهاء.. (**تستدير لتنظر إلى العجوز ثم تعود لتواجه الجمهور**) هم سمونى تغريد..الجميع هنا (**تشيرحولها**) يعرفون (**تذهب للنافذة، تفتحها وتعود وهى تشير نحو النافذة**) بالأمس ناديت العقلاء من القوم.!

من منكم يسمع صوتى.. من منكم يسمع أنات الألم المحشورة فى صدرى؟

أسئلة حائرة، تحتاج لمن يكشف عنها الستر.! هل منكم يا سادة من يفصل فى الأمر؟

(**للجمهور**) لم أسمع إلا صوتا يدعونى للصبر!

أأصبر عن هتك العرض؟! أم أصبر عن هذا النهب وهذا السلب؟!

هل أسكت عن سفك دماء الإخوة والأبناء؟

أم أسكت حتى لما اغتالت بوابة حلمى أقدام الغدر؟

(**تتجول فى المكان.. باستخفاف**) يا للهول! إخوانى صاروا قتله (**متسائلة باستنكار**) لماذا أصبح إخوانى قتلة؟ لماذا أصبح إخوانى أعداء؟!

رددت سؤالى، كررت الجملة مرات!

قال الصوت

الصوت (**من الخارج عبر التافذة**) الصبر.. الصبر!؟

تغريد أسكتنى قوله ونظرت لوطنى.. نظرت لأهله (**تتجول فى المكان**) فبعض منهم صاروا أسرى للحكم الهمجى، وبعض منهم انتشروا فى كل بقاع الأرض يحمل كل منهم أحزانا.. حرمانا.. تطويه الغربة (**للجمهور**) هل يملك أحد أن يخبرنى ما معنى أن يحدث هذا؟

(**سكته**)

الصوت الآن أنبئك بما انغلق عليك من الأمر.!هناك الأخيار.. هناك الأشرار ولأن هناك من أصبح منكم لا يخشى الله.. وترعرع فى أحضان الشر، واعتكف سنينا فى كهف الشيطان ولبس عباءته .. وجمع القوم الضعفاء.. ووسوس للناس البسطاء.. أن على أرض الجيران.. كنز من أغلى كنوز الأرض.!

تغريد هذا ما كان! (**تتناول المكنسة وترفعها فى الهواء**) وحمل السيف، تقطر منه دماء عربية.! فأخاف الدهماء البسطاء نظروا إليه.. ارتفعت أيديهم تهتف للصنم الواقف فى ساحتهم.. حملوه على الأعناق! أضاعوا ما حملوا من مجد الأجداد ألهبهم بسياط القهر فعبدوه.. (**سكتة، تجلس جوار الشيخ وتتوجه بالحديث إليه، وهو لا ينظر إليها**) سيرهم فى زحف تترى همجى أطماعه سبقت أعينهم.. تستلب الكنز المنشود (**تمسك بوجهه وتديره نحوها، ثم تتركه وتهب واقفة**) ضاعت هيبتهم.. انتشروا كالجرزان يختطفون.. الأشياء.. الأشياء.. بحثوا عن ذاك الكنز.. فلم يجدوه.غامت دنياهم.. صاروا قتلة! من أنفسهم فى أنفسهم يتخفون.

الصوت إن القتلة.. سوف يكونوا مقتولين.. الصبر.. الصبر.. إن الصبر نجاة.. فى شرعتنا.. الصبر سلاح، أو مفتاح للإيمان.!

تغريد ياقوم ! من ينقذنى من آلامى؟ الكل أصيبوا بالصمم! (**تتجه للنافذة.. ثم تعود وتحدث نفسها فى ثبات وإصرار**) تغريد.. يا تلك العصفورة.. لا تخشى.. بلغ الصبر مداه! إنَّا بعد الغزو لا يمكننا أن نحتمل الصبر؟! ولأن ألوف الدبابات، وقرقعة جنازير القهر، عبرت حد بلادى.. جاست.. قتلت.. لا نعرف طعما للنوم.. لا نخلد للراحة.. لن نركع للظلم.. لن نركع بعد اليوم قضيتنا حبة الرمل.. (**تشير فى كل اتجاه**) هذى الدروب.. وتلك البيوت قضيتنا أن نقيم نباتا ونلتف حوله

قضيتنا علمٌ يستقر سعيدا على سارية ومن تحته ينبت الحب يرشف منه الجميع (**تتجه نحو الباب المغلق، وتسترق السمع**) اسمع صوت الماء الأزرق يقذف للشاطىء شيئا (**مستبشرة**) فى لون عيون حبيبى الغائب وأنا أنتظر العودة والنظرة (**تعود معبرة عن الحزن**) أذكر يوما.. (**تسرح وتتذكر**) مرقت قافلة الجند المحتل بشارعنا فجأة غرقت سفنى ماتت أحلامى يا للحسرة

الصوت الصبر.. الصبر!

تغريد (**تتسائل باستنكار**) هل أبقى أفكر فى النظرة؟

وأظل بشوق لحبيبى منتظرة؟

ونوافذ منزلنا المهجور.. المقهور تضحك منى!

ذاك لأنى.. مذ كان العدوان عارية، حافية القدمين والحزن يغطى كل الجدران!

الصوت الصبر.. الصبر!

(**تندفع نحو النافذة بينما العجوز يحرك المنشة التى فى يده وتعود مسرعة منفعلة**)

تغريد (**بحماس وغضب**)

اليوم آه لو تدرى أن الحب يوَلّدُ فى القلب المجروح .. إصرار وعناد لا تقتله الطلقات المنفعلة! (**تغلق النافذة فى عنف، و تتجه نحو الباب المغلق وهى تردد**) فحبيبى وإن طالت غيبته حتما سيعود لكن..... (**بإصرار وتحدى**) تغريدُ ما عادت منتظرة لن أبقى فى هذا الحال.. وسأخرج حتى ألقاه (**تفتح الباب وتخرج منه وهى فرحة، بينما يعلو صوت الموج**)

ستار

-٦-

الصعود إلى الجحيم طوعا

؟؟؟

صورة (مونو دراما)

(فى الخارج أصوات وهتافات وجلبة.. تفتح الستار على بهو فى قصر.. أثاثه يتصف بالفخامة.. فى اليمين شرفة تطل على الخارج يأتى منها صوت جماهير ثائرة.. فى المواجهة لوحة بطول الحائط تحمل صورة لشخص وسيم، ضخم الجثة.. حاد النظرة..عارى الرأس.. يبدو كزعيم أسطورى الهيئة.. فى ملابس تدل على العظمة.. وعلى صدره العديد من الأوسمة والنياشين.. فى الجانب الأيسر مرآة ضخمة..

فجأة يفتح باب البهو ويندفع منه صاحب الصورة.. باديا عليه القلق.. يتوقف برهة ثم يتجه للشرفة، ويغلق بابها، ويُسدِل الستارة التى تعلوها وهو يقول:)

صاحب الصورة

اللعنة على هؤلاء القوم! (**يجلس على أحد المقاعد يأخذ نفسا عميقا**) اليوم معظمهم يهذى بالقول.. كلمات فاجرة تخترق السمع

صوت

(**من الخارج**) شريرٌ.. آثم.. ليل نهار يخطب فى القوم.. شيطان.. دموى.. قاتل

صاحب الصورة

(**يسد أذنيه مستنكرا ما يسمع.. ينهض واقفا ويدير ظهره للشرفة**) حياة البشر تتشكل حسب هوى الأفذاذ الكلمة يا أوغاد أعرفها.. قد تغدو أقوى سلاح أحيانا تفضى للموت! فلماذا لا يعلو الصوت؟ ولما لا..؟ والخوف يعشش فى فجوات الإنسان.. إذا لماذا.. لا يعلو الصوت؟ يستلب عقول القوم؟ لماذا؟!

الصوت

ليل نهار ينسج أوهاما.. كذبا.. من عذب الكلمات

صاحب الصورة

(**يهز رأسه وينظر حوله**) ذاك لأنى نشأت على تلك

الأرض المنكوبة.. ولأن الوطن العربى.. كلام.. وكلام! فلماذا لا أتكلم.. لماذا لا أتكلم وحدى..

أخرص كل لسان؟! (**يذهب نحو المرآة.. ويتأمل نفسه**)

الصوت دموى .. قاتل..

صاحب الصورة (**مستنكرا**) دموى.. قاتل!؟

لو نظروا فى تاريخى ما قالوها.. (**يجلس على مقعد مميز يتصدر البهو**) يا للهول! طفل ضاعت منه الأحلام الحلوة..! لا أجد على مائدة الإفطار أباً.. لا أجد البسمة فوق شفاه أحد. (**غاضبا**) لا أجد أحد.. فى شارعنا كان الأطفال وهم يلهون.. يقولون عن الكتُب كثيراً.. كانوا يبدون بعينى أطهاراً.. وأنا وحدى بينهمُ كنت أرى نفسى شريراً.. أدفع شرى فى أعماقى.. كى يُسمح لى أن ألهو معهم.. فى الصبح أراهم.. يحمل كل منهم أدوات دراسته.. تأخذهم منى مدرسة الحى.. وأبقى أنا وحدى.. فى صمتى.. لا يهتم بشأنى أحد.. ينكرنى من كانوا حولى.. أكثرهم يستثنى وجودى.. (**يحبس ألفاظا كادت تخرج من فمه**)

صيرنى قدرى منبوذا.. مقهورا.. فكرهت الجارة والجار

الصوت قاتل.. قاتل..

صاحب الصورة (**يعدل من ملابسه ويتحسس أوسمته.. ولهجة تقريرية**) القتلة هم من عاشوا فى القهر! فى صغرى.. أهدونى ـ يا ظلم البشر ـ أداة للقتل.. وعبثت بها فقتلت.!

وعرفت بأن القتل وسيلة.. وعرفت الدم.. وعرفت بأن الطفل المنبوذ لابد وأن يصبح شيئا أكبر من كل الأطفال.. وأكبر من كل الهم. (**باحتجاج مفاجىء**) الآن.. (**متسائلا**) أنا وحدى المشهور بأنى أقتل.. وبأنى أتكلم؟

وبأنى تخطيت حواجز هذا الخوف؟

(**فى تحدى**) فلأقتل.. ولأتكلم.. أتآمر.. أو أتزعّم. أزهق أرواحا.. كى تَنبت أرواحٌ أخرى.. لا شىء يُهم؟! لا شىء يهم؟!ما دمت أنا وحدى لم أصبح فى القهر! (**يتحرك بعصبية شديدة**)

الصوت شيطان.. شيطان..

صاحب الصورة (**ينظر فجأة إلى السقف.. متهكما**) اليوم تتعالى الأصوات بأنى شيطان؟!

ها.. ها.. جربت مع الناس ـــ الشرفاء ـــ سلاح الغدر

فماتوا.. ذهبوا.. اندثروا وتوارى معهم معنى الشرف الموروث وبقيت أنا وحدى من يوصف بالشيطان؟!

الصوت شرير.. آثم..

صاحب الصورة (**ينظر بعيدا كما لو أنه يهرب من منطقه**)

جربت وسائل تعذيب، كنت أمارسها فى صغرى فى قط أو كلب.. وكذا فى ذاك المخلوق المتعثر فى أغلال القهر المربوط على عتبات النسيان أعنى الإنسان! فإذا بالناس.. وقد هاموا كلهمو فى حب الشيطان (**يقف أمام صورته ويبدو عليه الشعور بالكبرياء وهو يعبث بالنياشين على صدره**)

الصوت قاتل.. قاتل..

صاحب الصورة

(**في تشف وتلذذ**) جربت القتل! فوجدت الهامات المنتصبة تتهدل فوق صدور مجهدة مكدودة تتساقط كل تماثيل القادة (**ينظر بإعجاب لصورته**) لم يبق من رمز الإنسان سوى قبر (**يشير للأرض**) أو جسد مدفون. ولكى أصبح وحدى الأسطورة علَّمت الإنسان – بوطنى – أسلوب الطغيان! كى يُسقط حكما.. أو يقتلَ رجلا أو يذبح طفلا (**يعلو صوت الموسيقى**) فى نظرى؛ ما أروع أن يَقتل إنسانٌ إنسانا! فالناس جميعا – فى بلدى – صاروا قطعانا! (**بلهجة الآمر**) أُقتل!.... يقتل أسجد.! يسجد فأنا وحدى المشهور.. بأنى أقتل.. وبأنى أتكلم.. (**ينظر لنفسه فى المرآة ويضحك فى سخرية.. مع صوت موسيقى صاخبة**) لا يعنينى أنى شيطان.. أو هدام.. أو دموى (**يتحرك في خُيلاء، يغمره الكبْر وهو يصرخ بصوت عال**) لا يعنينى أن يُقتل طفل.. أو يُصلب رجل.. أو يفنى

شعب؟! (من خلفه يدفع باب البهو من الخارج فينفتح دون أن يظهر أحد، ويسمع صوت طلق نارى.. على إثره يترنح.. يسقط راكعا.. ينكفىء على وجهه.. تصمت الموسيقى.. إضاة قوية متقطعة (فلاش) لمرات ثم يظلم المسرح)

ستار

المحتويات

صيد الأبنوس ٧

آلام عنتر ٢٦

الطواف الأخير ٤٦

يوم أجازة ٦٨

تغريد ٩٠

صورة ٩٨

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع